عبده بك

قصة مصرية اجتماعية

من نظم الاستاذ

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

وقف على نشرها

حسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلوميه تجارة عليا (ليون)
سكرتير عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية
منشيء صحيفة « السويس الناهضة »

١٣٤٤ - ١٩٢٦

المطبعة السلفية - بمصر

عبده بك

قصة مصرية اجتماعية

من نظم الاستاذ

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

وقف على نشرها

حسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلوميه تجارة عليا (ليون)
سكرتير عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية
منشيء صحيفة « السويس الناهضة »

١٣٤٤ - ١٩٢٦

المطبعة السلفية - بمصر

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرْ

لمَّا كتبتُ منذ شهور كلمتي الختاميّة لديوان (أنين ورنين) أشرتُ الى فائدة الشّعر القَصصي والتّمثيلي لمناسبة عناية شاعرنا ببناء هذا النوع من الأدب في ثقافتنا المصرية، وليقيني بأننا سنظفر من نور شاعريته بأمثلة جديرة بالبقاء والفخر سوف تنمو بها ثروتنا الادبية .

وقد ذكرتُ حينئذ : « ... أنّ القصدَ الاوّلَ والاهمَّ من الأدبِ عامةً والشعرِ خاصةً التهذيبُ النفساني للمجتمع ، على حدّ قول الرّصافي :

وما الشّعرُ إلا أن يكون نصيحةً
تنشّطُ كسلانًا وتُنهض ثاويًا

وقد دلّتْ دراسةُ نفسيّة الجمهور على التأثير البليغ الذي تمتاز به القِصصُ الجيّدة ، ومتى اجتمع الفنّ الرّوائي بالفنّ الشعري كان التأثيرُ مضاعفًا . فلماذا نتردّد في الانتفاع بهذه الخبرة التهذيبية التي بلغها الغربيون في أدبياتهم ؟ »

والآن أعرضُ على جمهرة الادباء هذا المثالَ للشعر القصصي من نظم شاعرنا المتفنّن ، وما كان المثلَ الاوّل لشعره القصصي وهو صاحب « مفخرة رشيد » و « نكبة نافارين » و « معشوقة ابن طولون » و « بيرون وتيريزا » و « شرلمان وعاشق ابنته » وغيرها وغيرها ، ولكنه مثالٌ جيدٌ للشعر المصريّ الاجتماعي ، وأقربُ الى القصة منه الى الاقصوصة : أو الرواية القصيرة الوجيزة .

وأديبٌ كشاعرنا العالم الموزَّع الخاطر المتنوّع المجهودات ليس بالمستطيع مادياً نشرُ آثار أدبه وعلمه على عجل ، بَيْدَ أنّه ليس لأدبنا المصري من فائدة في طيّ مثل هذا الشعر أو تأجيل نشره ، ولهذا توسّطتُ في اظهار هذا المثال من شعره القصصي الاجتماعي تشجيعاً لحركة التجديد المباركة ، لا سيا وهذا هو المثالُ الأوّلُ فيما أعلم لهذا النوع من الشعر في أدبنا المصري .

وما قصة (عبده بك) في موضوعها الاَّ صورة أمينة لبعض مفاسد الزواج الآلية في مجتمعنا ، وقد رسمها الشَّاعرُ بقدرته المشهورة في الوصف والتحليل الدقيق البليغ ، واختار لها نوعاً من الاسلوب المرسل الذي قد يجيز مذهبُه المعروف تنويعَ البحور فيه وان لم يفعل ، فاتّبع طريقاً وسطاً واكتفى ببحر واحد وبقافية

مزدوجة ، وأخرج لنا قصيدةً فنّيةً بليغةَ الاثر ، متينةَ السبك ، مرتبطةً أجزاؤها أتمّ ارتباط ، واقعةً في اثنين وسبعين ومائتين من الابيات العامرة ، بعيدةً كلَّ البعد عن الحشو أو التكلف أو المغالاة ، مقتبسةَ الشخصيات والحوادث من مجتمعنا الحاضر .

إنَّ ما نُشر للاستاذ الدكتور أبي شادي من شعر حتى الآن لا يتعدّى جزءاً من منظومه ، وبين ما لم يُنشر طائفةٌ كبيرة من أحاسن شعره ، ولكنّ هذا النوع الاجدّ من الادب أولى من سواه بالنّشر — ولو على سبيل المثال — ليكون حافزاً غيره من الشعراء المصريين ليقتدوا به ، بدل اضاعة مجهوداتهم في « الحفريات » كأنما يعيشون في القرون الغابرة بأفكارهم ومراميهم وأخيلتهم وأساليبهم . . . . ! !

وصفْوَةُ القول أني بهذه القصّةِ الشعريّةِ البليغةِ أُقدّم لمحبي الادب صورةً صالحةً من أحدث أنواع الثقافة الأدبية التي عُني بهـا الغربُ أوفى عناية ، بينما شعراؤنا عنها غافلون سادرون ، لا يملكون من الشجاعة الأدبية ما يدفعهم لاعتناق مذهبها ، كأنما هم يعملون لزهوهم الشخصي لا لخدمة الأدب الذي باسمه يعتزّون . وكما وَفى الشاعرُ لحضارة جيله وثقافته ، فقد وَفى أيضاً لقوميّتهِ ،

فجاءت الصورةُ التي رسمها مصريةَ الموضوع والأصباغ ، صادقةَ
البيان ، بالغةً في وعظها ، غنيةً بجوهرها ، تحملُ البرهانَ على
قدرةِ الشعر العربي المحرَّر من الالتزام والقيود ، وتنيرُ بصدقها
وحسنها المطبوع سبيلَ المستقبل الزاهر ؟

الجيزة في ١٧ مايو سنة ١٩٢٦م. حسن صالح الجداوى



القصص في الادب العربي

بقلم الكاتب العبقري المجدّد

الاستاذ عبد القادر عاشور

لم يُرزقْ القَصَصُ في أيّ عصرٍ من عصور الأدب العربي من يكتبُ عنه ، أو يبحثه بحثاً يميز غثَّه من سمينه ، وصحيحَه من فاسده ، لأسباب أهمها الامية في الجاهلية ، واتخاذهُ وسيلةً لمرضاة نفر من القوم طالما أفسحوا المجال لتحريف الكلم عن موضعه في الاسلام لدواعٍ تخصُّ السياسة والادب ـ الامر الذي أدّى الى ابتذاله ، وانصراف الادباء عنه ، وكثرة الكذب والانتحال فيه . ولما جاء عصرُ التدوين أيام العباسيين لم يأبهْ له العلماء ، ولم يشاؤا أن يكونوا مدوّنين هراء من القول عُرف قائلوه بعدم الصدق فيه ابتغاء عرَضٍ زائل .

وعند ما آذنت شمسُ حياة بني العباس بالمغيب انهالت على اللغة وآدابها صنوفُ المحن ، وأصبح الشعرُ الذي هو لغةُ القلوب وسميرُ الأرواح ومنعشُ الوجدان صناعةً ممقوتةً لا تعدُو شفاه

قائليها ، تسمعه فترى كأنك وسطَ بناء اقتنَ صانعُهُ في كثرة أزقّته ومنحنياته ومداخله ، من غير أن ينظر الى جمالِ الفنّ الحقيقي والى الغرض الذي من أجله بُنِيَ ....!!

وكذلك النثرُ ، فانه بعد سهولته وإرساله صار سجماً مرذولاً ، ينفر منه كلُّ من ذاق حلاوةَ اللغة وعرف خصائصَها وما تؤدّيه من معانٍ لو أُرسلتْ إرسالاً . ولا تسلْ عن القصص في ذلك الوقت ، وإن كنتُ لا اسميه قصصاً كما يسميه غيري ، بل اسمّيه بهتاناً وكذباً ، لأن القصص معناه اللغوي التحدث بالشيء على وجهه ، لا ما كان افتراء واختلاقاً . وُجِد ما يسمّونه قَصَصاً في مصر أيامَ المماليك ، وصنّفت فيه المصنفون ودوّنوا ، وظهرت في عالم الوجود قصة (ذات الهمة) وأمثالها ، التي يدلُّ على كذبها كلها أو بعضها ما فيها من تعصب شائن غطى على الحقيقة ليروي النفوسَ المتعطشة إلى سماع ما كان يأتي به الملوكُ من الخوارق ، وما يبديه المحاربون من ضروب الفتك بالأعداء ، كما تفعلُه شركاتُ السينما اليوم في بعض الاحياء الوطنية ، فانها تخدع الأحداثَ بما لا يرتضيه العقلُ من أنواع المفاجآت ، وهذا لعمري في كل امةٍ دليلُ الضعفِ والجهلِ .... وأظنُّ أن قصة

(عنترة) و (قيس المجنون) و (حرب البسوس) وما كان على شاكلتها وُضعتْ في هذا الزمن ، والا فما هي هذه الركاكة في الأسلوب والابتذالُ في اللغة والحقارة في المغزى ؟ ولا يُتصوَّر أن يكون لعنترة هذا الشعرُ المشتمل على كثيرٍ من الالفاظ التي لم تُعرَّبْ إلا بعد الاسلام بزمنٍ غير قليلٍ ، وعلى هذه الأنواع من البديع الناطقة بأنّها بريئةٌ من عنترة وعنترةُ بريء منها !! ...
ومن أين لهم أنّ (المجنون) استيقظ في السَّحَر وأنشد كذا وكذا من الشعر الذي يذكر فيه محبوبته ويتشوّق اليها ! ؟ ... بل من أين لهم أنه عند ما رأته الظباء السانحاتُ عصراً ولّتْ مدبرةً فتذكر (ليلاه) وأنشد :

بالله يا ظبياتِ القاع قُلْنَ لنا
(ليلاي) منكنّ أم (ليلى) من البشر ؟ !

مع أنهم وصفوه بشدّة النفور وطول العزلة ، ولم يهتد اليه من الانس أحدٌ حتى قضى نحبَه ، اللهم غير اناس معدودين ما عتم أن فرّ لايلوي على شيءٍ حين رآهم ؟ !... والرواية — كما يعلمون أو كما لا يعلمون — مختلفةٌ فيها عند أهلها الذين لازموا الشعراء ، ومرنوا أنفسَهم على حفظ أشعارهم ونقلها ، ولذلك تراني لا أشكُّ في

اختلاق هـذه الاكاذيب التي يسميها غيري قصصاً ... وكيف وهي تخالف ما جاء في امهات كتب الأدب المنقحة التي لا يصح أن يشك كثيراً في سند أخبارها ؟!

وجاءت النهضة الحديثة وأخذ الأدب يتجه نحو العصر وحضارته ، والأدباء يرون أنفسهم في حل من تلك القيود التي كمت أفواه من سبقهم وحالت بينهم وبين مزية القول زمناً طويلاً فنوعوا في الأدب حسب الحاجة والعصر ، فكانت الصحف وكان القصص الحسن الذي يمثل حياة الامة الاجتماعية خير تمثيل ، وكان غير ذلك من الأنواع التي ازدادت بها ثروة الأدب زيادة لا تنكر . غير أن كثيراً من الادباء لم يجرؤ على الكتابة أو النظم في هـذا النوع الاخير وأظن ذلك حذراً من أن يشبهوا بهؤلاء الذين يتلون على الناس بهتانهم في بعض الاندية والمجتمعات ، أو لعل شبح السبب الذي صرف الادباء القدامى عنه لا يزال يخيفهم ويمنعهم ، ولكن ليس هذا من الشجاعة وخدمة الأدب في شيء ، بل عليهم أن يقتحموا كل عقبة في سبيل الدفاع عن (الـكمنانة) واحياء مفاخرها ، وأن يجعلوا من شعرهم ونثرهم وخطابتهم ما يقضي على كل رذيلة ويدفع كل مضرة ، وما أنفع

القصص ذا الأسلوب الممتع والمغزى المفيد . إنه وأيم الحقّ يلذُّ للأمير كما يلذُّ للفقير ، خصوصاً القصص الشعري فانه أسيرُ وأمثل. ويدلُّك على عظيم شأن القصص وكبير نفعه وجوده في غير ما آيةٍ من القرآن الكريم ، ولولا أنَّ العرب ذكروا أيامهم ووقائعهم وأخبارهم في شعرهم ليكون ذلك قصصاً تتناقله القبائل جيلاً بعد جيل لكان في تاريخهم من الغموض ما لا يسهل علينا كشفهُ . وعلى كلٍّ فان هذا النوع لم يعدم من يشدُّ أزره من أدباء العصر الحاضر ويسير به الى الامام غير هياب ولا وجل . وكان للشاعر النابغ الاستاذ أحمد زكي أبي شادي فضلُ السبق في الشعر القصصي الاجتماعي الذي تهارب منه شعراؤنا مع أنه من أروع الأمثلة لتمثيل المجتمع وإنعاشه .

ولا يفوتني أن أهدي شكري وشكر كلّ من يقدرون أثرَ الشعر القصصي في نفوس الأمم الى الاستاذ حسن صالح الجداوي لأخذه بيدِ الأدب المصري في شجاعةٍ وهمّةٍ مأثورة ما؟

عبد القادر عاشور



عبده بك

صورة تخيلية من رسم الأستاذ
انطون غزالة

قِصَّةُ

عَبْدُهْ بِك

عمده بك

حقّاً يُعدُّ أرقَّ مَنْ صاحبتُ من صَفْوِ الرجال
ولهُ الدَّماثةُ والكياسةُ والمكرَّمُ منْ خلالْ
ما عابهُ الاَّ طهارةُ قلبهِ الوافي الضعيفْ
والطهْرُ بين الضعفِ والاغراء عُقباهُ تخيفْ
ولعلَّ مُدْهشَ برِّهِ حُبُّ الاطاعةِ دونَ فكرْ
فلاُمّهِ كم قدَّم القربانَ لا يُعنى بشكرْ
مجموعةٌ من حُسنِ أخلاقٍ ولكنْ قد تُشابْ
تلك المحاسنُ بالسذاجةِ عن خُضوعٍ واضطرابْ
ولعلَّها حكمُ الوراثةِ قبل أوساطِ الجهالهْ
إنَّ الوراثةَ ليس تصلحها العلومُ ولا الجلاله
ولذاكَ كان العلمُ يقضي بالعنايةِ بالزواجْ
حتى يجيءُ النَّسلُ غلاَّباً ومختارَ النتاجْ

☆☆☆

أمَّا أبوهُ فقد تُوفّي وهو في سنّ الصغَرْ
لكنْ تولَّتْ أمُّهُ تعليمهُ العلمَ الأبَرْ

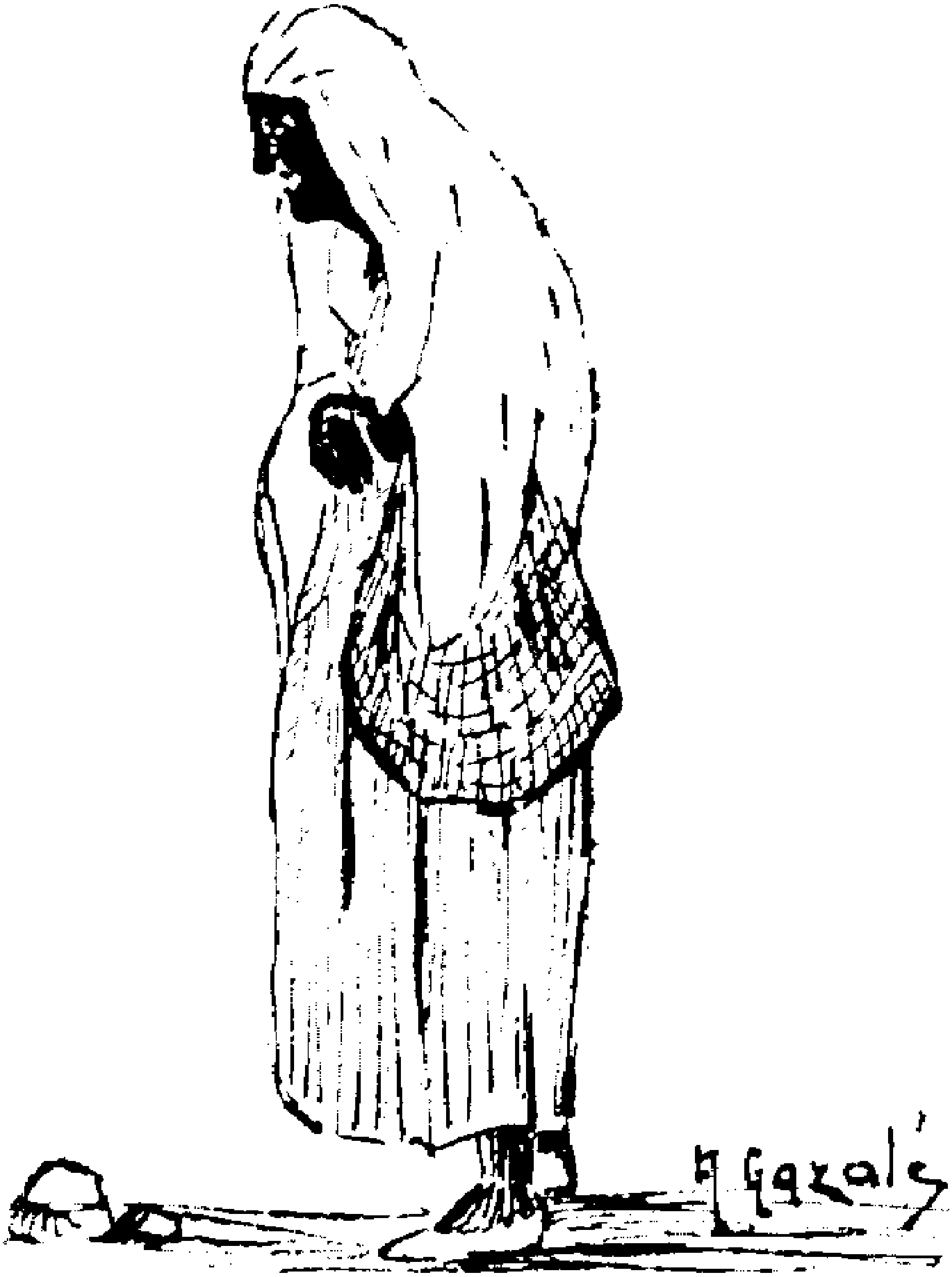
لا عَنْ يقينٍ مثل إنفاذِ لرغبةِ والدِهْ
لاسيما وهيَ الجهولةُ للحجا ومحامِدِهْ
لـكنْ عدلَ الوصفِ يقضي أن أُحبِّذَ طُهْرَها
والطّهرُ للمرأةِ تاجٌ كم يُعلّي قَدْرَها .
كانت كذلك مَنْ تَعَدُّ على الدّوامِ محافِظَهْ
وشديدةً عنـد الرّقابةِ لا تَكِلُّ ملاحِظَهْ
فاذا ابنُهـا وهو الوحيـدُ يشِبُّ من غير اختبارْ
بحقائق الدُّنيـا ، وانْ جاز الدراسةَ في فَخارْ
فَخْرٌ ولـكنْ بالقشورِ ، وانمـا العيشُ اللُّبـابْ
وكذاك مدرسةُ الحيـاةِ تُعَدُّ للعليـاءِ بابْ
حتى اذا نال الشهادةَ في الزراعةِ عالمـاً
قالت له : « آنَ التمتُّعُ في ضياعكَ سالمـاً . . . .
ما أنتَ محتاجاً الى جهدِ المسخَّر والأجيرْ
فعِشْ المنعَّمَ في غِناكَ موفَّقاً مثلَ الأميرْ . . . ! ! »

***

لـكنّه لم يمضِ اسبوعٌ على هـذا الرَّجاءْ
حتى اشتهتْ حُلمَ الزَّواجِ بمن يحبُّ من النساءْ

فأراد أنْ يُفضي بأعذارٍ رآها ما تعوقُهْ
فاذا به يخشى ، كأنَّ صراحةَ الوافي عقوقُهْ !
ثم استعادَ إباءه ، وهو القليلُ بأيِّ حالْ ...
فأبانَ أنْ خطوبةَ الزوجةِ شبهُ المُحالْ
فهو البعيدُ عن اختلاطٍ بالكثيرِ من الاسر
واذَنْ فمنْ بعضِ التمهلِ لا خلاصَ ولا مفَرّْ !»
قالتْ: « صدقتَ بُنيَّ! هذا البحثُ منْ حقّي الصَّريحْ
فاتركْ ليَ الجهةَ الحكيمَ لخيركَ المحضِ الصحيحْ
حسبي وحسبكَ مُسعِداً سعْيٌ من (الحاجِ حليمْ)[1]
فلها بكلِّ بيوت (مصر) علاقةُ الودِّ القديمهْ
ويُقال (مصرُ) كحلقةٍ ومثالهـا كالمغرَفهْ
فلها اطّلاعٌ واسعٌ ، ولهـا اختبارُ المعرفهْ . . . ! »
فأراد تحذيراً ، ولكنْ كان أُسقطَ في يدِهْ
فهي العزيزةُ عندها من عهدِ ليـلةِ مولدِهْ !
و (الحاجّةُ) المحبوبةُ المرجوّةُ السعيِ الموفّقْ
ما كان أشهى عندها من ذلك الخبرِ المحقّقْ !

(١) ذكر الشاعر هذا الاسم بالصيغة المصرية المألوفة .



الحاجة حليمة

صورة تخيلية من رسم الأستاذ

انطون غزالة

حيثُ الغنى متطلّعٌ لحنانها من وجهينْ
ولهـا بسمسرةِ الزّواجِ من السعادةِ رأيُ عينْ!
ولو أنها قد عمّرتْ واستصحبتْ ستين عاما
لكنها احتكمتْ على مَنْ غرّرتْ بهمو احتكاما
وهي السَّوادُ خلاصةً في لونها والنّزَعاتْ
ويُقال مسقطُ رأسها في أرض احدى «الملحقاتْ» (١)
واقوها بعضُ السّذاجةِ لا ينمّ على الخداعْ
ومن السّذاجةِ شرُّ أنواعِ التحايلِ في الطّباعْ!

***

لم تمضِ أيامٌ على هـذا الحديثِ وذكره
الا وجاءتْ «قبلةُ الخُطّابِ» مرْمى سرّهِ
فـكأنمـا شمّتْهُ شمَّ الـكلب يستوحي الثّرَى
بالصيْدِ (٢) وهو محجّبٌ ومغيّبٌ عمّنْ يرَى!
واستقبلتها امّهُ بحفاوةِ الاختِ العزيزهْ
وهي المجيزُ ودادُها ما لم تكنْ قبـلاً مجيزهْ
فاذا الحديثُ كأنّهُ نقْلٌ وفا كهـةٌ وراحْ!

(١) لعلها (هورر) أو (زيلع)... .
(٢) الصيد: ما يصاد.

أوَ ليس مشتقّاً من النعمْى ومنْ وصفِ الملاحْ ؟ !
نَسِيَتْ به الامُّ الوفيّةُ عمْرَها ومشيبَها
فتدفّقَتْ طرباً كما تلقى الفتاةُ حبيبها !
ولِمَ التحفظُّ وابنُها هو تاجُها الغالي الوحيدْ ؟
فزواجُهُ يومُ الشّروقِ لملكِهِ الثاني الجديدْ !
وكذاك حاولتْ « الصّديقةُ » أن تخصَّ بها الدَّلالهْ[1]
وكأنما في خِطْبَةٍ ما يُستَحَبُّ من الدِّلالهْ[2] ! !
فأجابتْ الامُّ الكريمةُ : « أنتِ إخلاصٌ وصدْقْ
وهو ابنُكِ الغالي فما يُرضيكِ يُرضيني بحَقْ ! ! »
قالتْ : إذنْ إني أُفضِّلُ في هوانمنا (منيرهْ)
فهي الرشيقةُ والرقيقةُ والغنيّةُ والقديرهْ
وهي المهذَّبةُ التي رفضتْ كباراً في الرجالْ
[illegible] كبرا فلنا بها مجدٌ ومالْ ! »
ومضتْ على هذي الطريقةِ في أساليبِ الحوارْ
طولَ النهار فأحرزت بثباتها أوْفى انتصارْ !

(١) الدلالة (بفتح الدال) : الارشاد .
(٢) حرفة الدلالة ، بكسر (الدال) .

وأبتْ فراقَ البيْتِ من قبل التحبّبِ « لابنها » (١)
ليكونَ مغتبطاً بمسماها ورمى ظنّهـا
وكذلكَ راحت في شعور الفتح والعقل القديرْ
إثمٌ غيرَ عجولةٍ إحكامَ إرهاقِ الأسيرْ !

٭٭٭

أما (منيرة) هذه فحقيقةً من بيتِ مالْ
وحقيقةً خُطبتْ ولـكن ما استقرَّ لذاك حالْ
فهيَ الكئيبةُ ثم ليس لها طباعٌ ساكنَهْ
عصبيةٌ تشقى وتُشْقِي كلَّ نفسٍ آمنَهْ
ويُقالُ ان سنينها ما جاوزتْ عشرين عاما
وكذاكَ كم رأتْ النساء الصّدقَ في العُمْر حراما !
ولعلَّ ميْزتَها الوحيدةَ أنها نصْفُ اليتيمَهْ
كالخاطبِ الرَّاجي ، وقد خدَعتْه أوهامٌ عقيمَهْ
ولها عزيزَ الحصْن من أمٍ دعَوْها « العاتيَهْ » !
ولـكمْ يحاذرها القساةُ ولقّبوها « القاسيَهْ » !
لـكنَّ بينَ دُرُوعها وسنانها برزَتْ (حليمْ)

(١) اشارة الى قول والدته لها : « . . . وهو ابنك الغالي فما يرضيك يرضيني بحق » .

وبفضلها كسبتْ مواقعَ واغتدتْ اسمى حكيمَهْ !
والآن تنصرُها موفَّقةً بزيجةِ بنتِهـا
رغمِ الذين يحاذرون ويطعنون ببيتِهـا
فتغلّبَتْ وتلاشتْ الأسوارُ حول رجائهـا
وكذا الحيـاةُ مطيعةٌ للجهدِ رغمَ عَلائها !

***

حسبي اذنْ دونَ الاطالةِ من حديثٍ جامعٍ
ذِكْرُ الحوادثِ في سياقٍ ليس يُسْئِمُ سامعي
ومن الحوادثِ ما يقول مواعظاً لا تنتهي
وبها كنوزُ فوائدِ المبتدي والمنتهي
فاعلمْ ـ حماكَ اللهُ ـ أنَّ الحيلةَ اكتملتْ بحيلهْ
فاذا العريسُ مُغَرَّمٌ مالاً تعيشُ به قبيـلهْ !
وعليهِ من شقِّ الحليِّ ومنْ أثاثٍ ما أضاعْ
كلَّ الرصيدِ (١) وتخبـةً مشهورةً بين الضياعْ
واذا به يجـد السعادةَ بالزواج بعيـدةً
ويذوقُ من شتَّى التعـاسةِ والهمومِ جديدةً

(١) يعني « رصيد المال » في لغة المصارف أو المال المدخر .

وكأنما الأفراحُ كانتْ مأتماً لشبابهِ !
وكأنما ذبحوا المُنى ذبحَ العُجولِ ببابهِ[١] !
وبذاكَ صار لزوجهِ فضلُ الغنى وهو الفقيرْ
وكأنما وهو العزيزُ النَّفْسِ في ذُلِّ الأسيرْ
ومضتْ شهورٌ وهو يلقَى كلَّ أصنافِ الشّقاءْ
وكذا الطّباعُ يضيعُ بين خلافها سرُّ الهناء
حتى اذا رُزقا بُرَّ العامِ في همٍّ غلاما
ما شامَ نوراً مُسْعداً ، بل زاد ظلمتَهُ ظلاما
يومٌ أحقُّ به السُّرورُ فكان بؤساً ثانيا
يابئسَ ما يجني الزّمانُ وكم تعسَّفَ جانيا !
طُبِعَ الوليدُ ببُغْضِ والدِه لساعة مولدِهْ
وهو البريءُ ، وحقّهُ أن يستعزَّ بموجدِهْ
لكنْ تناهتْ امّهُ من بعد مولدِه شجارا
واستكبرتْ أضعافَ ما ظهرتْ به قبلاً مرارا
ولو انهـا كانتْ موفّقةً مسالمةً حكيمهْ
لتحولتْ عطفاً ولم تتبعْ وساوسها الذميمهْ

(١) يشير الى عادة التضحية في زواج الاغنياء .

ورأتْ لهـا حظاً جديداً لا الجديدَ من القيودْ
لتكبّلَ العاني بهـا بتفنّنِ الخصْمِ الحقودْ
حالٌ أمرُّ من السمومِ تُصَبُّ رغماً للـكلابْ
مَوْتٌ لها هو رحمةٌ ، وحيـاتُه موتُ العذابْ
ولو ارتضيتُ لمـا استطعتُ بصدقِ وصفِ حماتِهِ
تصويرَ خُبْثٍ فعالها وجنونها بأذاتِهِ (١) !
كانتْ نهايةَ كلِّ هذا أنْ تولَّتْ أُمُّه
في غمّها ، وكذاك أسقاها المنيّةَ غمُّه
ماتتْ ولم تفقهْ على رغمِ المواعظِ ذنبهـا
ماتتْ بغفلتِها وحسرتِهـا تناشدُ ربَّهـا !
والنّاسُ تجني والبنونَ يحاسَبون لجرمهمْ
ويُجرَّعون الصابَ لا يدرون شُبهَةَ إثمِهمْ !
وأبتْ ظروفُ النّحْسِ الاَّ أن تتمَّ قتاهـــــا
فاذا الطّلاقُ يمزّقُ الاسرةَ لايرثي لها :
كان الخلاصَ وانمـا قد كان فصلاً أوّلا
واذا بتابعِهِ شقاءٌ قد تمثّلَ أقتـلا !

***

(١) الاذاة : الاذى.

مرّتْ أسابيعٌ ـ وانْ قلّتْ ـ عليهِ بعُزْلةٍ
فيها تقلّبَ بين احياءٍ وأشنعِ قتْلةٍ
فتنفّسَ الصعَداءَ تكراراً وحيناً في عذابْ
حيثُ الحنينُ لطفلهِ أسقاهُ صاباً بعد صابْ!
وكذاكَ في الحرمانِ يعرف والدٌ حُبَّ البنينْ
وتفوته ذكرى الشقاءِ وبالشقاوةِ يستهينْ!
ويرى القطيعةَ كالسهامِ الراشقاتِ فؤادَهُ
ويرى البعادَ عن السعادةِ والحياةِ بعادَهُ!
فاذا به مُستَدْرَجٌ بهمومهِ للسهراتْ
وكأنما فيها رجاءٌ في خلاصٍ من مماتْ
متنقلاً ما بين أنواعِ المجالسِ والحبورْ
مستفتحاً حذراً ومختتماً بلذّاتِ الجسورْ
حتى اغتدى وله صحابٌ أينما حلَّ وسارْ
وغدا يجازفُ في سبيل الانسِ لايخشى العثارْ
ويظنُّ أنَّ لديهِ خبرةَ كلّ ذي طربٍ خبيرْ
ويخالُ أنَّ الحظَّ قد وافاه بعد الزمهريرْ
لاسيّما وقد استطاع مذاقَ نوعٍ من غرامْ

أهدَى اليـه ـ وليس يدري ـ في ألاعيب اللئامْ
ظهروا بمظهر صَحْبِهِ وهمو سماسرةٌ جِيـاعْ
جعلوا اختصاص نُبُوغهم شركَ الزَّواجِ والانصياعْ
فتوافقوا (١) بعد التآمرِ والتحايلِ والمزارِ (٢)
كي يُولعوهُ بحُبِّ مَنْ عرفاً قد اشتهرتْ (بمارى)
فتَّانةٌ بخلاعةٍ ورشاقةٍ لا بالجمالْ
ولها أفانينُ التظاهرِ إن أرادتْ بالكمالْ
فاذا بهِ المغترُّ والمجنونُ في أسرٍ أكيدْ
واذا بهِ المختارُ والمقهورُ للحبِّ الجديدْ

***

فغدا بها المشغولَ يُنفقُ في رضاها دَخلَهُ
متناسياً حتى ابنـه ، ويخالُ فيها سؤلَهُ !
لاسيّما وقد استغلّتْ زوجهُ الأولى الطلاقْ
فتبرّعتْ بالطعنِ في أخلاقِهِ طعنَ اختلاقْ
واستشهدتْ ـ ما شاء مرماها ـ بصحبتهِ (لمارى)

---

(١) توافقوا : تساعدوا وتقاربوا .
(٢) المزار : الزيارة ، وكذلك تطلق على موضعها .

فتوفّقتْ أيّ التوفُّقِ للزواجِ بلا انتظار !
بَيْنا ضحيّتُها الشقيُّ يظَـــل في تيّارهِ
مستهدفاً لمخــــاطرٍ ومجازفاً بيسارهِ
ألعوبةً بعد احتشامٍ في يد امرأةٍ خليعهْ
لكنْ على عينيه أيُّ غشاوةٍ حتى تُضيعهْ
متهافتاً شطرَ الذي توحيهِ من شتّى الملاهي
بَيْنا يظنُّ لنفسهِ عقلَ الحكيم على التّلاهي
واللَّهوُ ليس يُعـــاب حقاً للحكيم العاقلِ
لكنْ يُخافُ اذا اغتدى سُمّاً براحةِ قاتلِ
من بعد سَلْوَى صار ديناً وافتتاناً دائما
كانت نهايتُهُ الزواجَ بها فكان الغارما
فقد انتهتْ أحلامُهُ ورأى التعاسةَ رأيَ عَيْنْ
وتبدّلتْ منها الطّباعُ الى مخادعةٍ ومَيْنْ
ولو انّها كانتْ تخـــادعُهُ ولكنْ في دلالْ
فغدتْ مجاهرةً محقّرةً ترى فيه الملالْ !
وكأنّما ضمنتْهُ كلباً طائعاً لمرادها
فمضتْ الى أصحابها وتفنّنتْ بودادها

من مرقصٍ لمجالس مطروقةٍ[1] للخلواتْ
حتى غدتْ وغدا حديث السخر في المجتمعاتْ!
وأُذيقَ أصنافَ المذلّة والحقارةِ كلّها
وكأنه الجاني عليها لا الغريمُ يحتلها!
شربَ المصائبَ من جديدٍ والتعاسةَ للثمالَهْ[2]
إنّ المصائبَ والتعاسةَ في الضلالةِ والجهالَهْ
فغدا يسائلُ نفسه: «أوليس عند الانتحارْ
خيرُ الدواء لما أحمّلُ من أذى جمٍّ وعارْ؟»
لكنْ يعودُ هنيهةً للسخط ثمّ الانتقامْ
فيردّه عطفُ الهوى ويصونهُ باقي الهيامْ
وبساعةٍ تلقاهُ في يأسٍ ولا يأسِ الغريقْ
والضعفُ غالبُهُ فيخلدُ للبكاء وللشهيقْ
في صورةٍ هي حالُ ما أعطتْ وارثةُ أمّهِ
في حيرةٍ وسذاجةٍ وتخبّطٍ في همّهِ
ذا الظروفُ تقودُهُ لأخاءِ ذي فضلٍ نبيلْ
من أشرفِ الشبّانِ في علمٍ وفي خلقٍ جميلْ

(١) مطروقة: فيها هوج وجنون
(٢) الثمالة: آخر ما في الاناء، أي حتى النهاية.

وكأنّما كانَ (المسيحَ) أتى ليُنقذَ رُوحَهُ
وبعطفِهِ كانَ لضمّدَ قلبَهُ وجُرُوحَهُ !
فتوثّقتْ وتمكّنتْ بالعطفِ آصرةُ الصداقــهْ
وكأنّمــا بابُ الخلاصِ بدا وقدْ ألقى وثاقَهْ !

* * *

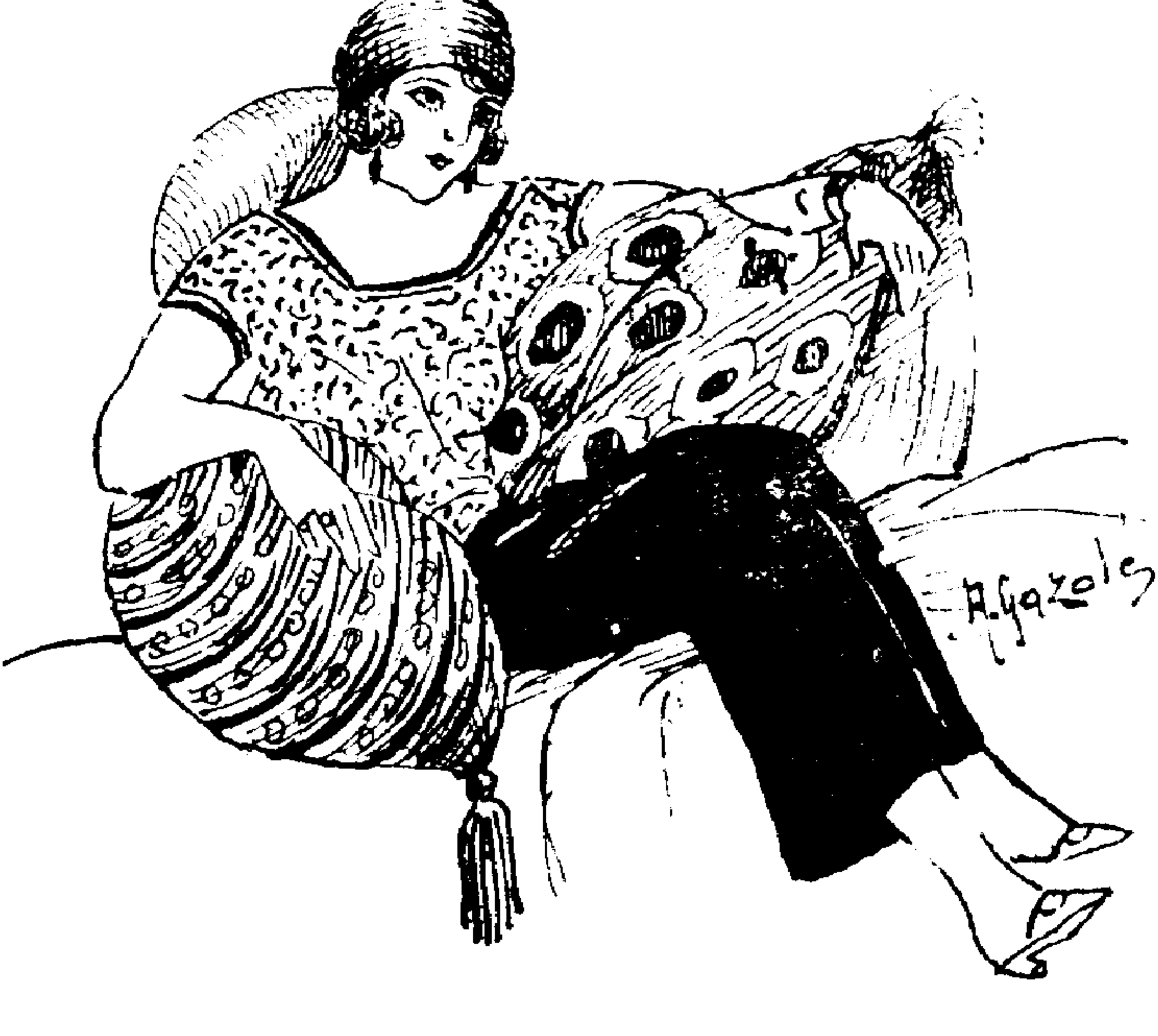
كان الفريدَ بنُبْلهِ ، ووفوؤُهُ حقّاً فريدْ
ومن النبوّةِ أنْ يُسمَّى في ولادتِهِ (فريد)
رجلٌ له طبْعُ الرّجالِ ورقّةُ الجنسِ الرقيقْ
خلٌّ جديرٌ بالعبادةِ لا المحبّةِ من صديقْ
فسعَى وكان وسيطَ إنقاذِ المسخّرِ والعليلْ
من حالةٍ تُفْني الحليمَ وتسحقُ الشرفَ الأصيلْ
فتفرّقَ الزّوْجانِ بعد غرامةِ المالِ الكثيرْ
ومن العجائبِ أنْ يُعوّضَ آسرٌ بدمِ الأسيرْ !
تركتْهُ من بعدِ امتصاصِ ثرائِهِ وشبابِهِ
لكنّما أسنَتْهُ فرقتُهـــا جليلَ مُصابِهِ
عيدٌ وإنْ لمْ يدْرِ في وجلِ المحزونِ عيدْ ؟ !
أيصافحُ الحظُّ الظّلومُ ويُنصفُ العاني الشّهيدْ ؟ !

***

سنتان أعقبتا كأنهما زمانٌ للنقاهة
في راحةٍ تحيي الضمير كأنها أحلى الرفاهة
وبفضل نصح صديقه قد باع كل عقاره
وهو الضئيل ضالة هي شاهد بدماره
واستثمر المال الذي هو كل محصود الهشيم
بتجارةٍ لصديقه كانت له الخير المقيم
فتآلفا ، وتصاحبا للود ثم العمل
وتوفقا أي التوفق في بلوغ الأمل
فغدا (فريد) (عمره) وكذا غدا هذا (فريد)
في الحس والاخلاص والتفكير والنجح الأكيد
وتغلب الوسط القوي على هوى القلب الضعيف
فتساندا وتآزرا : عطف الشريف على الشريف

***

الحظ ما تمريه الا صاحبه الظروف
مستثمراً حالاتها ، لا في التعبد بالكهوف
فاذا استطعت لها انهازاً كنت في حذق الحكيم



فريدة هانم

صورة تخيلية من رسم الأستاذ
انطون غزالة

وأخذتَ تمضي من صغيرِ النفعِ للنفعِ الجسيمْ
واذا توالى الخيرُ بعدئذٍ فثقْ ، إنَّ النجاحْ
آساسُهُ الرأيُ الصحيحُ وخُطّةُ الجهدِ الصُّراحْ
إنْ قُلتَ حينئذ بأنَّ الدهرَ قد أعطى الأمانْ
فتّشْ تجدْ انَّ السعادةَ من جنانكَ لا الزَّمانْ!
وكذلك انتظمتْ أمورُ الصاحبيْن فأيسرا
وتذوَّقا عيشاً ألذَّ ونعمةً لا تُشْتَرى
وتمازَجا كالتّوأمين بمتجرٍ أو منزلِ
واستطيبا السّهراتِ في البيت الهنيءِ الأجملِ
حيث الجمالُ مُسوَّدٌ من ربّةِ البيت (فريدَهْ)
كشقيقها في اللُّطفِ والايناس والسّيرِ الحميدَهْ
عصريّةُ النَّزعاتِ لكنْ في حُدودِ تأدُّبِ
جذّابةٌ بجمالها وحديثها الحرّ الأبي
وكأنْ ساعةَ قربها مثلُ النّعيمِ من الخلودْ
بُعِثَتْ دليلَ المتّقين على البرارةِ في الوعودْ ! (1)
ليستْ لها صُوَرُ الأُنوثةِ قدرَ تصويرِ الحياهْ

(١) يعني وعود الجنة .

في خيرِ ما يهواهُ وجدانٌ وتهواهُ شمائلْ:
لا للتصنُّعِ دائماً لكنَّهُ طَبْعُ الحياءْ
أو طَبْعُ مقرونٍ الملاحةِ بالثقافةِ والذكاءْ
تصغي لها الآذانُ والأبصارُ بل كلُّ الحواسْ
والحسْنُ معبودُ المشاعرِ بينما منها يُساسْ!
كم ليلةٍ جلس الثلاثةُ جلسةَ الحبِّ الشريفْ
في خيرِ تسليةٍ وفي سَمَرٍ لطيفٍ أو طريفْ
فيها الحديثُ يلَذُّ مثلَ بديعِ أنغامِ البيانو
فيها افتتانٌ بالجمالِ يظلُّ يتبعُهُ افتتانُ
وكذا استمرُّوا في هناءٍ لا يضيعُ من افتراقِ
والحبُّ ينمو بالتعرُّفِ والتودُّدِ والتلاقي
حلمٌ جميلٌ صحَّ ثم اعتزَّ بالصحْوِ الجميلْ
في أسْرَةٍ موصولةٍ موفورةِ الحبِّ النبيلْ
لولا حبيبٌ غائبٌ (١)، لكنْ أعيدَ لوالدِهْ
فاذا بهمْ مثَلُ النعيمِ المستعادِ لفاقدِهْ
وكذا يكون الودُّ ثمَّ الحبُّ يعقبُهُ القِرانْ
وكذا الشبابُ يصانُ عن عقبى الضلالةِ والهوانْ

(١) يشير الى ابن عبده بك من زوجته الاولى .

***

ولكمْ بودّي أن أُفصّلَ ما هنا أجملتُهُ
لكنّ عهدي للصديقِ ـ وقد مَضَى (1) ـ ماقلتُهُ
والسّرُّ عندي ان يُذاعَ فانّهُ من بعض روحي
ولكمْ جروحٍ للأنامِ سترتُها ستري جُروحي
أبكيهِ لكنْ بدموعٍ نِصفُها لعذابهِ
والنّصفُ للأُنسِ الذي يحْيَا كما أُحيا بهِ !

(١) يقال أيضاً : مضى سبيله واسبيله أي مات .

نقد وملاحظات

تحليل القصة

بقلم الاديب المتفنن والناقد المعروف

الاستاذ عبد الله بكرى

الشعر القصصي والحاجة اليه

أخذ علينا الفرنجة مأخذاً في شعرنا العربيّ ، هو إجدابه من القصص إجداباً كاد يكون نقصاً فيه ، بل عيباً لم تعن جمهرة شعراء الضاد بأن يقوّموه !

وانك لتتصفح دواوين الشّعر العربيّ من صميم الجاهلية الى عصرنا فلا توشك المثور على قصة منظومة إلاّ بشقّ النفس .

نعم قد تعثر ، ولكن لا تحسب أنها نظمت لتكون قصةً قائمة بذاتها ، بل هي في الواقع سيقتْ عرضاً لاعتراضها سبيلَ الناظم ولكونه ساقها لمناسبة ، أو لتكون واسطة يبلغ بها غاية توخّاها .

هؤلاء هم المتقدمون ، أما معاصرونا فقد عصروا أذهانهم فأخرجوا لنا قِصَصاً منظومة جيّدة ، وكان معظمها يحوم حول الحروب وما اليها ، وتلك موضوعات غير مجدية ، ولعلهم رغبوا في أن يهدوا الى الأدب العصريّ (الياذة) ثانية . . . . انهم

عنوا بما لا طائل تحته ، أما معالجة الأدواء الاجتماعية ، وتغذية القومية فلا أحسبهم فعلوا ذلك ، ولعلهم فاعلون .

كان من جراء هذا التقصير أن نشط شاعرنا إلى اتمام ذاك النقص ، ليتدارك ما فات ، فكان عمله فاتحة الضرب بسهم يناسب مقتضيات هذا العصر .

ولما كان يتعيّن على القَصَصي النظر في أساليب الفرنجة الذين برّزوا في هذا الميدان لمجاراتهم ومقارعتهم لكي يثبت مقدرة اللغة العربية على محاكاة غيرها من اللغات المستحدثة ، ولكي ينفي تهمةً علقت بها ، فيُلبس هذه اللغة العتيقة ثوباً قشيباً — عملا بالمثل: « والبس لكل حالة لبوسها » — فقد صار واجباً عليه أن يتمشّى مع حاجات عصرنا الذي قلب نُظمَ الحياة ، فأصارها غيرها بالامس ، واقتضتْ الحال ألاّ يقيّد نفسه بأساليب القدماء والنسج على منوالهم .

ولمّا كان أسلوبُ الشعر الافرنجي مغايراً لأسلوب الشعر العربيّ من ناحيتيْ التزام القافية والوزن — ذلك أن الأول غير مَقيد كالثاني — فقد انطلق من اساره وطفق يتنقّلُ من فَن الى فَن ، وبذا أسمعنا أفانين شتى من تغريده ، بينما الثاني رهن عقاله لا ينشط منه ، فهو لا يسمعنا في اللحن الواحد سوى نمطٍ

واحدٍ قد تملّه النَّفسُ ولو كان مطرباً .

واذا فبديهيّ أن يحدثَ القَصَصيُّ حدثاً في النظام المتَّبع من منذ قرض الشعر العربيّ ، وذلك بأن يضاهيء الطرازَ الغربيّ ، ويزدافَ الى نظامه المستملح فينتقيَ ما يصلح من القوافي لِصِحّةِ الأداء .

نمط القصيرة

واقد عُني الدكتور أحمد زكي أبو شادي بمعالجة هذا الضرب من الشّعر القصصيّ ، وهو طبيبٌ أديبٌ ، نطاسيٌّ في طبه ، ضليعٌ في أدبه ، اذا عالج شيئاً فلا يستعصي عليه ، لأنه رهنُ عقله ويديه !

والقصةُ التي ألّفها الدكتورُ مصريةٌ ، فهي من وجهة الاجتماع صالحةٌ للدرس والاستقراء ، وهي من ناحية التقدير قيّمة .

تخلّص فيها المؤلف من قيود القافية الواحدة فنظمها من بحر واحد ، ولكن لكل بيتين قافية مستقلة ، وبذا أبرزها في نيف ومائتين وسبعين بيتاً .

وأنتَ متى طالعتها ألفيتَ نفسك متغلغلا في روضةٍ ساذجةٍ نبتتْ فيها الزهورُ في شتى الاوضاع ، واختلاف الألوان ، لم يجملْ

أ كبر همه تنميقَ ألفاظها ، بل تركها عفوَ الخاطر ، فهي من حيث السياق متسقة تقرأها فتجدها من الانسجام بحيث تحسبها نثراً وهي شعرٌ موزون !

أما لغتها فهي أدنى الى السلاسة منها الى الجزالة ، وانك واجده غير متحذلق ولا متعمّل في ابتغاء المبنى ، ولا متطاول الى اقتناص المعنى

توخّى فيها تحليل شخصيات أبطال القصة تحليلاً نفسانياً ، حتى لقد جعل أشخاصها معروفا كنههم للمتوسّمين . . . . كل ذلك في أبسط وصف وأدقّ تعبير .

وانك لتستروح عند ما يتجلّى لك وصف (الحامز هليمر) الدلالة في نكتةٍ طريفةٍ هي قوله :

ويقال (مصر) كحلّةٍ ومثالها كالمِغرَفَهْ !

وكذلك قوله في شيئتها :

ويُقال مسقط رأسها في أرض احدى « الملكفاتْ »

(والملكفات) يعرفها المصريون سماعاً ، وهذا يشعر بأنها زنجيةٌ . . . .

والقصيدةُ مليئةٌ بأبيات تقريرية جامعة ، وحِكَمٍ مستجادة ، وهي وإن زاغت عن الايثار فلا بأس بإيراد طائفة منها ، واليك

قوله في الوراثة :

إنَّ الوراثة ليس تُصْ ـلحها العلومُ ولا الجلالهْ

وانظر الى قوله في المرأة الطاهرة الذيل : —

والطُهْرُ للمرأة تا جٌ كم يُعلّي قدرَها

والى الحكمة في قوله : —

فخرٌ ولكن بالقشو ر وانما العيشُ اللبابَ

وكذاك مدرسةُ الحيا ةِ تُعَدُّ للعلياء بابْ

والى وصفه حديث الدلاّله (الخاطبة) : —

فاذا الحديثُ كأنهُ نُقْلٌ وفاكهةٌ وراحْ

أو ليس مشتقاً من الـ ـنُعمى ومن وصفِ الملاحْ ؟ !

والتفتْ الى وصفه (عبده بك) عقب بنائه بأول قرينة :

وكأنمـا الأفراحُ كا نتْ مأتماً لشبابهِ

وكأنما ذبحوا المُنى ذبحَ العُجولِ ببابهِ

وتَفنَّنْ في تعريفه الحظّ : —

الحظُّ ما تعريفهُ إلاّ مصاحبة الظروفْ

مستثمراً حالاتهـا لا في التعبُّدِ بالكهوفْ

فاذا استطعتَ لهـا انتها زاً كنتَ في حذقِ الحكيمْ

وأخذت نفي من صفير النفْع للنَّفْع الجسيمْ !

في كل ذلك وأمثاله نعثر على ضالتك من شوارد الحِكَم ، ونوابغ الكَلِم ، فتجدها ذخائر وأعلاقاً يزدان بها نحرُ هذه القصة المجلوّة في أجمل ما تجلى به عروس من عرائس الشعر العصريّ .

الموضوع وقيمته

وقصةُ (عبده بك) هذه مبحثٌ طليٌّ في علل الزواج ، عقدتْ له ثلاث زيجات : ثنتان مصريتان وواحدة أجنبية ، فشل في الاولى لسوء الاختيار ونقص في تربية (منيرة) ولاسرافها ونشوزها ، فطلقها بعد ما استولدها غلاماً ، ثم وقع في شرك (ماري) بواسطة سماسرة السوء ، وكانتا الوقعتين دات على ضعف ارادة الزوج التعيس .

وحصل نفارٌ وشقاقٌ ، فانهار بيتُ الزوجية الثاني كالأول ، لانه كان غيرَ مدعَّمٍ بمقوّمات الائتلاف ، فهدمه الاختلاف .

ثم أتاح له حسنُ حظه زيجةً ثالثــةً فكانت الاخيرة ، وفي الحق أنها كانت بلسماً لجروحه ، ومستقراً لروحه ، فجثمَ حيث نَعِمَ ما شاء الله أن ينعُمَ .

هذا ملخّص القصة ، وموضوعُها - أعني الزواج - خطيرٌ ، نحن في حاجة الى المكوف عليه وتمحيصه ، ودراسة دائه وتشخيصه، ونحن أحوجُ ما نكون الى الاستزادة من بحث علل المجتمع المصريّ وبخاصةٍ عِلة الزواج التي صارت أعضل مشكلة حيوية .

ملاحظات

وبعدُ ، فليس عندي ما الاحظهُ على هـذه القصة سوى أن ناظمها لم يُسبغْ عليها حلى الألفاظ الفخمة ، ولا الالقاب الضخمة، بل أبرزها ساذجة في مظهر ديموقراطيّ متواضع .

ولئن استدعى هذا اللونُ من الأدب الجديد تقديرَ جمهور الادباء ، فما اخالهُ استرعى إعجابَ القليل من المتفيهقين !

أمَّا القصة فحسبُها قيمتها الاجتماعية لتأخذ مكانها اللائق بها ، وتستوي على عرش القَصَصِ المصريّ النظيم ، وانه لعرشٌ عظيم.

وهكذا تثبتُ اللغةُ العربيةُ لغيرها كفايتَها ومقدرة أبنائها على الاتيان بآيات البيان البيّنات ، وأنها خصبةٌ لا توصم بالجدب، ولودةٌ غيرُ مصابة بالعقم !

وتلك والله مفخرةٌ تضاف الى آثار الدكتور أبي شادي التي

خلّدها في (نافاسين) و (مفخرة رشيد) ، وغاية ما أرجو هو أن يسترسل في اتحافنا بسواها ، وأن يلاقي من التنشيط ما يستحقّه مجهوده ، فتحفزه عبقريّته لاخراج بدائع ، تكون لفنّ القصص الشعريّ طلائع ما ؟

عبد الله بكري

الزمن والحق

في الحقّ ساويتُ العدوّ وصاحبي   بأبي ونفسي ، فالحقيقةُ شاني
لا كنتُ حاملَ تهمةٍ أو ذمةٍ   إنْ عشتُ للأوهامِ والاضغانِ

(عن كتاب « شعر الوجدان »)

نقد « قدامة »

لشاعرية ابي شادي

.... ومَنْ هو « قدامة » ياسيدي؟ هو أحد ذيول المحرر الادبي (للسياسة الاسبوعية) الغراء التي وهبت مديحها وتقديرَها لشاعر واحد هو شوقي بك ، وأما من عداه فأصفار . . . فاذا قال انا شوقي مثلاً :

وكلُّ مسافر سيؤوبُ يوماً اذا رُزق السلامةَ والايابا

وجب أن نصفق له بأمر « قدامة » وحاشية « قدامة » ، وإنْ قرر أبسط ما يقولهُ الرّجلُ الساذج. وأمّا اذا قال الدكتور أبو شادي :

إنَّ العظيمَ هو العظيمُ بنفسِهِ في حاليْ الادبارِ والاقبالِ

فهذا في عرفه وعرفِ أساتذته وأصحابه لغوٌ في لغو. . . . ! !

و « لقدامة » عذرُهُ اذا أنحى باللائمة على الدكتور أبي شادي وبادر متعثراً الى هدمه أو اغراقه ، وجاد بنصف « نهر » لهذا القصد « الشريف » ، فذكَّر الادباءَ بما كان يُصاب به الشعراء على

يد شوقي بك وأعوانه حينما ظهر غيرُ شوقي في الميدان . . . . نقول له عذرُهُ لأنَّ معظمَ الناس لايزال يتوهَّم أنَّه لايجوز لغير طائفة معينة من الناس أن تعرف الشعر ، وانّ من كان شاعراً بطبعه فمفروضٌ عليه أن يئِدَ شاعريّتَهُ ، خصوصاً اذا كان طبيباً ، وإلاَّ استحقَّ الهزءَ به مهما أجاد ، وان يشفع له ظهورُ شعراء مبرزين بين رجال الطب قديمًا وحديثاً . . . . ! !

***

وبعد ، فهل تدري لماذا ثار غضبُ استاذنا « قدامة » ؟ . . ليس وحقّك لأنَّ شاعرنا قد أعلن من الآراء بعد مرانة عشرين عاماً ما يخالف به المألوف ، ولا لأيّة ظاهرة نافرة في شعره لم يرضَ عنها تفهّمُ الاستاذ الناقد ولكن . . . ولكن لغير شيء ، كأنما قصدُ الأديب الناقد الغيور محضُ التحكك بالشاعر فحسب ، كما تدل عبارته : « ولمن يفسّر هذا أو يتبين منه غرض الشاعر على سبيل الجائزة نسخة من ديوانه . . . . . » .

أفهمت ؟ ! . . . فنحن نفسّر ما غمض على حضرة « قدامة » ويكفينا جائزةً أن نسجّل عن عصرنا للمؤرخ الأمين في المستقبل مثالاً من التحامل الأدبي البغيض الذي يبثّه الحزبُ الشوقي من آن لآن قضاءً على نبوغ أيّ شاعر آخر مهما كانت طبقته .

ومنزلته .... !!

ولنبدأ بذكر القصيدة المنتقدة ، وها هي كما نشرت في (كوكب الشرق) الأغر ، مصدرة بمقدمة من قلم الاستاذ أحمد حافظ عوض بك ، فالنقد الأدبي النزيه يتطلب ذلك ؛ وللقراء الحكم بعد النظر المستقل :

الاسد الاسير . !

عبد الكريم

جاءتنا التلغرافات العمومية منذ ايام منبئة بتسليم الامير عبد الكريم بطل الريف نفسه للفرنسيين ، بعد أن حارب الدولتين الفرنسوية والاسبانية خمس سنوات طوالا ، بهمة لا تعرف الملل ، وعزيمة لا يتطرق اليها اليأس . . .

وجاء في هذه التلغرافات أن الحكومة الفرنسوية التي تسلمت الامير عبد الكريم سترسله الى تازة وانه وضع نفسه واسرته تحت حماية فرنسا ، واعاد جميع الاسرى الفرنسويين والاسبان والوطنيين قبل وصوله الى الخطوط الفرنسوية.

وقد أثار استسلام عبد الكريم الى حكومة الجمهورية الفرنسوية بعد ذلك الجهاد الطويل ، عواطف الشاعر الوجداني النبيل ، الدكتور احمد زكي أبو شادي نجل فقيد الوطنية الكريم المرحوم محمد بك أبو شادي ، فنظم في هذا الصدد قصيدة عامرة بالعواطف الشريفة والاحساس النبيل ، والحكم العالية ، والعزاء الجميل لشعب الريف الباسل ، وللاسد الاسير ، فنثني على ادبه الجم ، الثناء الذي يستحقه وننشر قصيدته شاكرين :

أ كذا تروعُ مصائبُ الابطالِ ؟

أ كذا تهولُ مصارعُ الآمالِ ؟!

أ كذا تكون بك الهزيمة نصرةً

لطامح الجيل الأبيّ التالي ؟!

أ كذا تعافُ السِّلْمَ ضيمةَ امةٍ

ولو اعتبرتَ النّصرَ صنوَ محالِ ؟!

سلمتْ مشاعرُها وعزّةُ نفسها

بينما العدوُّ على رؤوسِ جبالِ

مَلَكَ الثري والنبتَ أو مَلَكَ السما

لكن تضعضع من يقينِ رجالِ !

في الاسر أو في منتهى حرية

أتباعُكَ المَثَلُ الشّريفُ العالي !

* * *

مر يا رفيعَ القدرِ ـ غيرَ مُدافعٍ

للأسر محفوفاً بكلّ جلالِ !

تلقَ العدوّ على مئاتِ قلاعِهِ

ما بالفخور بـــــدا ولا المختالِ

كم كنت تزحفُ ضارباً لحصونه
بالسيفِ محتكماً على الآجالِ
واليومَ تقصدُ جيشَه مستسلماً
في عزةِ القهَّارِ غيرَ موالي
منْ طبع جرأتكَ الهجومُ وهكذا
هذا شعارك في شقاء الحال !
انَّ العظيم هو العظيمُ بنفسه
في حاليْ الإدبارِ والاقبالِ
ومن المصائبِ للشُّعوب مفاخرٌ
وغذاء نهضتها على الأجيالِ
ما مات شعبٌ سطرتْ تاريخَه
مُثُلُ الاباء وسيرةُ الابطالِ
والناسُ ليسوا في عديدِ جسومهمْ
لكنْ بأحلامٍ بقين غوالِ
هي للتتابع والتناسخ كلما
أفنى الزمانُ هيكلها القديمَ البالي !

* * *

حقٌّ لقدركَ أن تُقاتلَ شامخاً
حتى النهاية في شريفِ قتال

شأنَ الحماةِ ديارَهم وذمارَهم
النافرين الساخرين بقالي
فهزأتَ اذْ هجمَ الزمانُ مروِّعاً
ليقيد الفرسانَ بالاغلالِ
وهزمْتَ كالأسد الجريحِ يخافهُ
حرّاسهُ ويروعُهمْ بخيالِ !
من بعد فقدِكَ كلّ ما مُلِّكْتَه
من قوةٍ أو عصبْةٍ [1] أو مالِ
حتى الغذاءُ فقد تعذَّرَ مثلما
عزّ الدواءُ ، وقد سلاك السالي
ولسانُ فخرِكَ أنّ جهدَكَ لم يكنْ
إلا الذخيرةَ لا الرجاء الخالي

(١) لاحظنا تحريفا بل ابدالا في بعض الابيات التي اختارها « قدامة » لمغالطته ، فآثرنا أن نعد ذلك غير مقصود منه واكتفينا بالتصحيح ، لانه من العجيب أن يتعمد من يسمي نفسه ناقداً مصلحامثل ذلك ، وان كان عجزه أو ظهوره بالعجز عن متابعة الشاعر في خياله وعواطفه يذكرنا بقول ابن رشيق : « انما سمي الشاعر شاعراً لانه يشعر لما لايشعر له غيره » .... والظاهر ان « قدامة » يتوهم انه في الامكان بث « الفاشيزم » الأدبية في هذا الوقت بمصر ، كما كان سلطانها قوياً في العهد الخديوي .. !! فان كان هذا ظنه فليعلم انه وهم ضائع ، فلن تقوم الدكتاتورية الادبية قائمة بمصر في عصر الفكر والحرية ، مهما اشتدت سواعد المغالطين من أمثاله ، ومهما كثرت الببغاوات التي تردد هذره بل هذيانه تغريرا بعقول الناشئين ...

واسوف ينشدُهـا البنون على غدٍ
فتهـدّم الجبروتَ بالزّلزالِ !
ويعيشُ ذكرُكَ للبنين كعيشهِ
فينا يُخَصُّ بغايةِ الاجلالِ

***

مضتْ السنون عليكَ أيَّ مجاهدٍ
متحمّلَ الآلامِ والاهوالِ
حتى كتبتَ سطورَ مجدكَ من دمٍ
غالٍ ، ومن خُلقٍ كروحِكَ عالٍ !

***

فماذا كان تعليقُ سيّدنا « قدامة » على هذه القصيدة العامرة الأبيات ؟ أتحسبُهُ أشار رغم نقده بكلمةِ خيرٍ الى موضوع القصيدة التي نظمها الشاعرُ عفوَ الخاطر ـ كما هو معروفٌ عنه ـ متأثراً بنكبة اخوانه في اللغة والدين ، غيرَ متوانٍ أو مُغْفِلٍ لواجبه الادبي ، بينما كان سادتُنا العلماءُ ـ رضوان الله عليهم ـ في شغل شاغل بنظريات عتيقة لا تغني ولا تسمنُ من جوع ، وكأنما لا يعنيهم من أمر عبد الكريم شيء ؟ أتحسبُهُ استحسن ولو بيتاً واحداً في القصيدة ؟ كلاّ وربّ العالمين . . . وانما قضت نزاهتُه

الأدبيةُ أن يعدّها برمّتها قولا غثًا ، وأن يُغري بكل قوته رجال البيان في مصر على محاربة هـذا الشاعر الجريء الذي كان يجبُ عليه أن يطأطيء الرأسَ « لقدامة » ولأسياد « قدامة » من عُبّاد الظهور والعظمة الكاذبة ... !!

لقد اطّلعتَ على القصيدة ومقدّمة(الكوكب) لها — وهي المقدّمةُ التي تكون «طبعاً» صدقاًوحقاً في عرفهم لو كانت على رأس قصيدةٍ من شعر شوقي بك مهما انحطّتْ منزلته — فاقرأ الآن مايقوله « قدامة » وقل لي بالله هل هذه عباراتُ ناقد أدبي مطلع حقيقةً على أنماط الشعر العصري الاوروبي الذي نطمحُ الى بلوغ مرتبته ؟ ؟ وهل هـذه ملاحظاتُ أديبٍ قدر ظروفَ القصيدة ومنزلةَ الشاعر ونفسيّتَه ؟ أو أنها مناورةٌ مكشوفةٌ لمتحاملٍحَسُودٍ أو هادمٍ متملّقٍ « لامير الشعراء » وشاعر الأرض والسماء ؟ وهل من خدمةِ الأدبِ في شيء أن يُغمط فضلُ شاعرٍ بهـذه الطريقة المرذولة ؟

قال « قدامةُ » هداه الله : « .... أمّا هذه القصيدة التي نظمها هـذا الشاعرُ الوجداني أو الرُوحاني أو الطّمطاني فاليك شذرات منها ، ولك الرأيُ فيما ينطبقُ أو لا ينطبقُ عليها من هذا الوصف المريض الطويل . قال — ولا ندري هل هو يخاطبُ

شعبَ الرّيف الباسل أو الاسدَ الاسيرَ فانّه لم يُشرْ الى ما يدلُّ على هذا أو ذاك :

أكذا تكونُ بك الهزيمةُ نصرةً لطامح الجيلِ الأبيِّ التالي ؟

أكذا تعافُ السِّلْمَ ضَيْعَةَ امةٍ

ولو اعتبرتَ النصرَ صنوَ مُحالِ ؟ !

ولمن يفسّر هـذا أو يتبين منه غرضَ الشاعر — على سبيل الجائزة — نسخة من ديوانه .

ومنها في مخاطبة الأسير :

سرْ يارفيعَ القدرِ — غيرُ مدافعٍ —

للأسرِ محفوفاً بكلّ جلالِ

تأقَ العدوَّ على مئاتِ قلاعِهِ

ما بالفخورِ بدا ولا المختالِ !

هنا نترك الامرَ لصديقنا الاستاذ وحيد بك الأيوبي عسى أن يُريحنا هنيهةً من مناقشة « أحكام الهمزة » بتحديد موضع ما ولا النافيتين .

ومنها في مخاطبته :

مِنْ بعد فقدِكَ كلَّ ما مُلّكتَه من قوّةٍ أو عصبةٍ أو مالِ

حتى الغذاء فقد تعذّر مثلما   عزّ الدواءُ وقد سلاكَ السّالي
ولسان فخرك انّ جهدكَ لم يكن   الا الذّخيرةَ ، لا الرجاء الخالي
ولسوف ينشدُها البنون على غدٍ   فتهدِّمُ الجبروتَ بالزلزالِ

ما هـذا الغذاء الذي تعذّر مثلما عزّ الدواءُ ، وأيّةُ علاقة الغذاء والدواء بسلوان السّالي ؟ بل ما هذا الجهد الذي لم يكن الا الذخيرة ، وما معنى الرجاء الخالي ؟ وما تلك التي سوف ينشدها البنون على غدٍ فتهدم الجبروت ؟ ! ! حقّاً إنّ في ادارة الزميلة « كوكب الشرق » لعرّافاً شديدَ المحالِ أمكنه أن يستشفّ من مُغلق هذه التراكيب السقيمة — التي لا تدانيها العاميّةُ في ركّتها — ما عدّد من « عواطف شريفة واحساس نبيل وحكم عالية وعزاء جميــل » ! ويميناً لو أنّ هؤلاء المتشاعرين ما وجدوا مثل هذا التفريط بالنشر والتقريظ ما كانوا استطاعوا أن يحصبوا وجوهنا في كلّ يوم بشيء من تلك الاشعار الغثّة وتلك القوافي الواهنة(*) .

(*) . . . . « صح النوم يا استاذ » . . . ! ! أين كانت عظمتك الارستقراطية التي تعد شاعراً مطبوعاً مبدعاً عظيم الانتاج والفضل من جملة « المتشاعرين » ، وتطلب الى الصحف والمجلات مقاطعته ، كانما هو متطفل عليها — أقول أين كانت هذه العظمة المصطنعة منذ سنوات وسنوات لما كان « المقتطف » و « الهلال » وغيرهما من كبريات صحفنا تنشر لشاعرنا المبدع المطرب من شعره ونثره بكل ترحيب وتقدير . . . ؟ ! وهل تحسب عافاك الله ان من ينال هذا التقدير منذ نشأته الأدبية يستحق بحكم غضبك أو بحكم نفايتك وتحاملك

***

هذا هو تعليقُ « قدامة » فهل عرف كبارُ الادباء النقّاد لمتنوع الصحف والمجلات واجبهم ؟ ؟ . . . اذا لم يعرفوا فعليهم أن يتلقوا عرفانه عن « قدامة » . . . هو اغفال أمثال الدكتور أبي شادي . . هو الحفاوة بأوهام مولانا « قدامة » . . . هو الخلط بين السياسة والأدب . . . هو العناية أولاً بنشر ما يكتبه خطّاط الجريدة أو حاجب غرفة التحرير أو جامع الحروف . . . كل هؤلاء لهم أسبقية في حقّ النشر على شاعر قد يخالف المألوفَ أيها المحررون ، وقد يكون خصماً سياسياً لعدوٍ منكم . . . ! !

تحاشى « قدامة » ـ سامحه الله ـ أن يعترف بانّ القصيدة وحدةٌ متصلةُ الأجزاء وانّه حاول أن يعبث بها ، وتغابى مدعياً

« في آخر الزمن » غضب الادباء عليه ، كأنما ليست لهم مشاعر وعقول يميزون بها بين النقد الادبي البريء وبين التشهير المرذول الذي يجيده مثلك . . . . ؟ ! وهل تحسب حماية « السياسة الاسبوعية » لك تنقذك من الحكم عليك بانك لاتعرف من أصول علم النقد النزيه لاقليلا ولا كثيراً مهما وجدت المجال الفسيح لترهاتك؟! ليس مثل الدكتور ابي شادي بآثاره الادبية الشائقة وروحه القومية الشريفة وشاعريته العظيمة المشهود بها له من كبار رجال الادب هو الذي يجني على الافهام كما يجني وزراء الاتحاديين على الامة ـ سامحك الله وعافاك ـ وانما الجانون هم أمثالك الذين يسخرون أفهامهم وأقلامهم لخدمة شخصية معينة ، ولو آذوا النهضة الادبية أوقضوا عليها ـ لاقدر الله ـ في سبيل أهوائهم الذميمة . .

أنّه لا يعرفُ لمن وجّهَ الشاعرُ الخطابَ ، والشاعر مسؤول كما لا يخفى عن العنوان لا عن مقدّمة حافظ بك عوض . وأظنُّ القاريءَ في غنى عن التأكيد له بأنّ الخطاب كله موجّه الى « الأسد الأسير — عبدالكريم ».

استهلّ الشاعرُ قصيدتَه في لفظٍ جزلٍ بهذا المطلع المؤثر ، وقد فُوجيء بنبأ تسليم عبد الكريم :

أكذا تروعُ مصائبُ الأبطال ؟!

أكذا تهولُ مصارعُ الآمال ؟!

ولكنه رأى الضعفَ في هذا الشعور فاستدرك فوْراً ، وأراد أن يقرّر أنّ مثل هذه الهزيمة هي فيما يرى حافزةٌ لمطامح الجيلِ الآتي وضمينةٌ لنصر الغد ، فقال :

أكذا تكونُ بكَ الهزيمةُ نصرةً

لمطامحِ الجيلِ الأبيّ التّالي ؟!

وقديماً قال شوقي بك :

« . . . . * انّ المصائبَ مما يوقظُ الأُمما »

وقد حدثتنا الصُحُفُ عن امتناع عبد الكريم عن عقد سَلم باسم امته رغم علمه باستحالة النّصر ولكنّه آثر تسليمَ نفسه ، فكأنما ضحّى بمنزلته فداءً لكرامة امته ، ولذلك قال الشاعر :

أكذا تعافُ السِّلْمَ ضيعةَ امّةٍ

ولو اعتبرتَ النّصرَ صِنْوَ مُحالِ ؟!

ثم قال :

سلمتْ مشاعرُها وعزّةُ نفسهـا

بينا العَدُوُّ على رُؤوسِ جبالِ

مَلَكَ الثّرى والنّبتَ أو ملكَ السّما

لكنْ تضعضعَ منْ يقينِ رجالِ !

وقد حار النّاقدُ في موضع « ما » و « لا » النافيتين في أحد الابيات ، ولا أرى مبرّراً لحيرتهِ ، فلا خطأ في اسلوب الشاعر .

ومن أغرب ما وجّههُ من النّقد السّاذج تساؤله عند عرض أبيات تالية : « ما هذا الغذاء الذي تعذّر مثلما عزّ الدواء » كأنه لم يقرأ شيئاً عن تفصيل هذه النكبة مما ذكرته البرقيّات . . !! وقسْ على ذلك قوله « وأيّةُ علاقةٍ للغذاء والدواء بسلوان السالي ؟ ؟ » . ولو أنصف عقلَه وافهام قارئيه لشهد بانّ الشاعرَ جمعَ في هذا البيت كلَّ أو جلَّ أسباب الهزيمة التي نُكبَ بها عبدُ الكريم من مجاعةٍ الى عجز في التطبيب الى انفضاض الكثيرين من أنصاره عنه . بَيْدَ انَّ الواجب على الشّاعر الحكيم أن لا يكون كالنادبة ـ كما كان « أمير شعرائنا » شوقي بك بقصيدتهِ عن ذكرى

دنشواي – بل أن يكون مبعثاً للشجاعة السامية ، ولهذا نرى شاعرنا يعقب الوصف التقريري بالتأميل والتشجيع ، فاعتبرَ أنَّ جهدَ عبد الكريم لم يكن إلاّ ذخراً للجيل القابل، لا أملا مفقوداً، لأن ذكرى هذا الجهد العظيم بمثابة غذاء لشجاعتهِ وفروسيّتهِ وشممهِ وشغفهِ بالحريّة ، فهي بمنزلة الذخيرة الحربيّة التي يلجأ اليها المحاربُ الأبيّ لينسف الطغيان والجبروت. وقد سألنا ما هو الرجاء الخالي؟ وعجيبٌ منه هذا السؤال كأنه لا يفهم انّ الخالي بمعنى الماضي المندثر ، والكلمة في موضعها بعيدةٌ عن أيّ قلق ، ولكن هو الغرض يعمي .

* * *

وبعد ، فشكراً لك يا أستاذ وما أحسبك بعقليتك الشاذة غير نفس ذلك الكاتب في (السياسة) اليوميــة الذي كان يحدّثنا كذباً وبهتاناً بأن ضوء سعد باشا لا ينير ثلاثة شوارع فاذا به اليومَ يُسبّح بحمده واكباره في كل عدد من أعدادها (*) . . . ! !

(*) على سبيل المثال للنقد الأدبي الفكه المنزّه عن السخرية المفرضة ، والسماجة القبيحة ، والتنابز المرذول ، ننقل هــذه الكلمة عن جريدة (الكشكول) الغراء ، وقد أشار كاتبها في ذوق وكياسة الى تقمر محرر فصل – « في المرآة » – بجريدة (السياسة الاسبوعيـة) ، وهو فيما نعلم مولانا « قدامة » بعينه ، شفاه الله . قال حضرة الكاتب الناقد :

(. . . . من « المرآة » ولست أصفها محاكاة ، ولكني اريك منها نصا أصيلا ، ولفظا ثقيلا ، قال كاتبها :

إنّ مثل الدكتور أبي شادي في غنًى عن اطرائي أو دفاعي
ياسيدي الناقد العزيز فقد أجلّ شاعريته وقدّرها من قبل أساتذتي

« كلما رأيت حسين رشدي باشا جاثماً في مقدمه بشرفة « الكونتيننتال » ذكرت ذلك النوع من الببغاء ناصع البياض تعلو رأسه خصلة من ريش يضرب لونه الى الاصفرار من شدة الاحمرار . . . أما جسمه فحائر في القصر بين الافراط والتفريط ، مضطرب في العرض بين البدانة والنحول . يختلج في المشية بين الريث والعجل . خفيف الحركات سريع اللفتات بين الاشارات ، تحكمه أعصابه أكثر مما تديره حواسه . فلولا أنه قد أرساه على كتفيه رأس مليء عرفاناً وعلماً وحكمة وفهماً لدفّ وأسفّ ، وصف وزفّ ، ثم حوّم ودوّم ، ثم طار » .

وأنا والله العظيم مارأيت في مخلوقات الله شيئاً يرسو جسمه على كتفيه بما يحمل من رأس أثقلته أجرام العلم وأحماله ، وملأته جلاميد العرفان وأثقاله الا جسم رشدي باشا فيما زعم كاتب المرآة . وربما يكون قد أراد بقوله « أرساه على كتفيه رأس الخ » أن رأسه الذي هو على كتفيه أرسى جسمه فما دف ولا أسف ، ولا صف ولا زف ، ولا هف ولاخف ، ولا تف ولا نف، وكف ولا رف ، الى كل ماقضت اللغة أن تجري فيه هذه الفاء المشئومة، ولكن من أين للقارىء المسكين أن يستخرج هذا المعنى من بطن الكاتب ؟!

واذا أعجبك شيء في الدنيا فلن يعجبك بالقدر الذي تجده في هذا « الاصفرار من شدة الاحمرار » ، أليس ذلك جديداً من الالوان ؟ صفرة تشتد فتحمر، وحمرة تتجاوز مداها فتخضر، وبياض يزيد على حده فيغبر ، وسواد يصير من قلم الكاتب باذن الله بياضا ... فالله أكبر الله اكبر ، وليس هذا حسبك من بدائع صنع الكاتب ، فهو يحدثك عن رشدي باشا وكيف كان يجهل اللغة العربيه ، فدرسها وحذقها ومهر فيها الى حد أن صار يكتب بها « فيكثر اكثاراً ، ويستغفر استغفارا » ، ويزمجر ازمجرارا ، ويقشعر اقشعرارا ، ويفعل غير ذلك جهارا نهارا ، فكأنما يلوك بهذا اللسان ، لغة من لغات الجان ، وهكذا تكون بلاغة المرآة ، « وحصوة في عين اللي مايصلي على النبي .. »

وأساتذتك من أعلام البيان على تباين مذاهبهم ، وقد نقده نقداً وافياً في أدبٍ ومهارةِ الاستاذُ الناقدُ الضليعُ المحرّر الأدبي لصحيفة (المؤدب) ، فرددتُ عليه الردَّ الجديرَ بأدبه ، الخليقَ بالناقد النزيه الذي يريدُ أن يخدمَ الأدبَ خدمةً صادقةً ، ولا يأنفُ من الرجوع الى الحقّ اذا تبين خطأه . أمّا نقدُ مثلك يا أستاذ فلا خير فيه ولن يؤدّي الاّ لتوطيد مركز شاعرنا لو كان مثلُه في حاجة الى توطيد مركزه . ولولا أني قرنتُ اسمي باسم الشاعر في مجال الأدب لما تعرّضتُ للردّ على نقدك العجيب بكلمة واحدة ، ولكني لا أهرب من الواجب لا أمامك ولا أمام غيرك .

وإنْ تعجب أيّها القاريء فاعجب معي لرئيس تحرير (السياسة الاسبوعية) الغراء الذي ينشرُ لنا مقالاً قيماً عن « النقد النزيه » في نفس العدد الذي به « لقدامة » مثل هذا الهذر السخيف . لهذا يحقّ لنا أن نوجه الى حضرته العتاب بل المؤاخذة الشديدة ؟!

حسن صالح الجداوي

شاعرية أبي شادي

وأمثلة القول الجامع

بقلم العلامة الاستاذ عاشور

— ١ —

مقدمة

من أنواع البلاغة العربية المعروفة ارسال المثل والكلام الجامع . عرّفه وحبّذه علماء اللغة ، فاستهوى تحبيذهم الشعراء حتى في أزمنة الضعف ، وجاءوا لنا بكثير من أمثلة الاسفاف التي حسبوها مما يدخل في باب المثل السائر أو الحكمة البالغة المشتقةً من تجاريب الحياة ، أو من شواهد بيئتهم بين علمٍ وفلسفةٍ واجتماع . . . فوُئِدَتْ هذه الامثلة الضعيفة يوم ولادتها ، أو وُلدتْ ميتة ، لانها كانت مُتَكلّفة لا أثر لشخصية الشاعر وقوته النفسية وإيمانه بها . كانت نوعاً مستحباً من الادب في تعريف العلماء ، فأصبحت داءً في عرف الادباء النقّاد الذين يغارون على حرمة الادب ، ويعملون على تنقيته من أدران التكلف والصناعة الكاذبة ، وبحسب القاريء أن يتصفّح كتاب (الديوان) للاديبين الشهيرين

المازني والعقاد ليرى بعضَ الشواهد لحكمنا هذا ، وما هي الاّ قليلٌ من كثير .

إنَّ أسمى اسلوبٍ للكاتب أو الشاعر هو الاسلوب الفطري المهذَّب ، فاذا جاء ارسالُ المَثَلِ عفواً كان مثالَ الجمال والابداع وكان له الأثرُ المطلوب . وهذا فيما أعلم هو نهجُ ادباء الغرب كما كان نهج ادبائنا — من كتاب وشعراء — في عصور النهضة والقوة . ونظمُ شاعرنا في التفكير والتعبير عصريُّ النزعة ، للادب الغربي كما للادب الشرقي أثر فيه ، ولهذا أخذتُ من ديوانه (**الشفق الباكي**) — آخر دواوينه — هذه الأمثلة التالية من أبياته الجامعة المرسلة عفو الخاطر موضوعاً للنظر والتعليق العام ، وذلك للتدليـل على قيمة الشعر الصادق الوحي والشعور ، حتى فيما يرتاح اليه أشد المحافظين تمسكاً بالقديم ، وعقدت هذا الفصل لمناسبة الحملة التي نظمها المكابرون أخيراً ضد شاعرنا لبخس شاعريته ، وليصدفوا الآذان عن سماع نظيمه المطبوع ، والألباب عن التأثر بعواطفه الوجدانية الحرّة التي يرهبون ثورتها ويجزعون لما يقدّرونه لمستقبل نفوذها .

* * *

(٢)

أمثلة لأبيات جامعة من شعر أبي شادي

مَنْ كان يخذلُ عصرَه ببيانِهِ فهو المقرُّ بموتِهِ أحقابا

وما الشعرُ إلاَّ أن يكون عواطفاً
تنشِّطُ احساساً وتبتعثُ الطَّرَبْ
وترسمُ مِنْ معنى الحيـاةِ مشاهداً
ومن صُوَرِ الأسرارِ مادقَّ واحتجبْ

إنْ يخذلْ الادباءُ مظهرَ حقِّهمْ
في الحكمِ فلامُلُ المريضُ نَفادُ
ليس التحاسدُ من مواهبِ نابغٍ
إنَّ التعاونَ للنُّبوغِ عمادُ
وأرى الممالكَ بالعقولِ قوامُهـا
وأرى العقولَ حصونَهـا الأفرادُ

إنَّ الوجودَ (وكلَّ ما نلقى) به
صُوَرُ الحياةِ ـ وإنْ خفينَ ـ بوادي
فاذا تجلَّتْ في التناسب حليـةً
عُدَّتْ جمالاً أو جلالَ مُرادِ

شأنُ الحيـاةِ تجاذبٌ وتعارفٌ
ومن النفوسِ الى النفوسِ صوادي

إنّ الفواكهَ للمذاق شهيـةً
مثلُ الغناءِ اذا اشتهاهُ شعورُ
وكذلك الفردوسُ في أحلامنا
وهمٌ، وغايةُ ما احتواهُ غرورُ

ومِنْ رُتبةِ الانسانِ حرّيةُ الحجا
وما هانَ قومٌ في مدى البحثِ أخفقوا

أعزُّ متاعِ المرءِ حرّيةٌ له
ويارِبهـا فيها الوجودُ المجسّمُ
ومهما يكنْ ذُلُّ النفوسِ فانهـا
تعودُ لمحرابِ العُلى تتألّمُ
وما السجنُ تعذيبُ السّجينِ وإنمـا
وِقاءٌ وإصلاحٌ ووعظٌ ومغنمُ
تُميتون فيه الشرَّ بالخيرِ سائغًا
ويُنْشَرُ فيه النُورُ برًّا بمن عَمُوا

وعارٌ على أهل المـدانة عدلهمْ
إذا كانَ منه يقطرُ المسفُ والدَّمُ !

مَنْ أنكر العلمَ الصحيحَ فدينهُ وَهْمٌ ، وليس لمثـله إسلامُ !

كذاك العمرُ أحلامٌ وتمضي ولا يُبـكى سوى الغالي النَّفيس

روحُ الأديبِ لها الوجودُ رِحابُ !

ومِن النّفوسِ حرائرٌ وثوائرٌ ومن النفوسِ إسارُها الجلباب
والناسُ منهم في سجون جسومهم بينا يُقلُّ النابهين سَحاب

أقسى السّقامِ يهون إنْ ملكَ الهوى
حُسْنٌ ، وإنْ أمرَ الشُّعورَ كتابُ
فاصبرْ بعقلِ الفيلســوف فانّما
ذهنُ الحكيمِ سماحةٌ وصوابُ
والكونُ أضيقُ من فسـيح جنانِهِ
تَبَعٌ له الأجيـالُ والأحقابُ
والسّقْمُ أولى أن يُخَصَّ بهزئِهِ
فالصّمتُ للمرضِ الأليمِ عقابُ !

ما أهونَ الهجرَ الجميلَ اذا أتت
عقباهُ صدق الوصلِ والأحلام
لولا ظلامُ الليلِ ماقدَرَ الضُحَىٰ
أبٌ ، ولا عرفَ التطلُّعَ سامي
كم بدّد اليأسُ الحياةَ وكم أرى
فضلا يُضيِّعُهُ دفينُ سقامِ

قولوا لمن خذل الغرورُ عقولهم
القدرُ بالأعمال لا الميلاد
لا تحسبوا انَّ الوقار بمنزلةٍ
شرفُ الحياةِ له شريفُ ودادِ

يتساويان لدى الفخار : براعةٌ
بيد الأديبِ ومنجلُ الحصّادِ
كلٌّ له عملٌ يقدَّرُ فضلُهُ
بالنَّفع والاخلاصِ والاسعادِ

وأرى العطاءَ له حدودُ سلامةٍ وأرى الحصافةَ في حكيم جهادِ

اليومَ قدرُ الناس قدرُ كفايةٍ واليومَ ان يطأ الزَّمانُ عبيداً

الشَّعبُ سيّد نفسِهِ ودیارِهِ إنْ صان حُرْمَةَ حقّهِ لبقاءِ

المرء في القوّة من عقلِه ... إنْ خاصم الحكمةَ لاقَى الرَّغامْ
والشّهوة الموتُ لِعشّاقِها ... لكنّه موتُ الخطوب الجسامْ !

لممالكُ الدنيا بحكمِ عواطفٍ ... غيرُ المجدّ لها بحكمِ غُرورِ
وخفيُّ أسرار القلوب وحالها ... ليست كحالةِ خفقِها المنظورِ
وحقائقُ المهجِ الحزينةِ والمُنَى ... وصوابها ليست لكلّ خبيرِ
تَهَمُ الغرامِ لذيذةٌ محبوبةٌ ... وله شريعةُ سيّدٍ وحقيرِ
الصّدقُ فيه فضيلةٌ لو لم يكنْ ... بالخوفِ والكتمانِ أيَّ جديرِ

وَثِقْ بأنّ حياةَ المجد في تعبٍ ... وغايةَ الخطرِ والتوفيقِ للسّاري

.... سُنَنُ الوجودِ فكلُّ ما تلقى به
جَمْعٌ من الظلماء والأضواءِ !

والبيتُ مدرسةُ الحياةِ وأصلُها ... يُنمي جمالاً أو يصوغُ رجالا
فاذا تمثّر بالجهالةِ أهلُه ... هيهات أن يُعطي سواه كمالاَ !

ولي مذهبي فالنّفسُ سرٌّ مقسّمٌ
فكلُّ شعاعٍ عائدٌ بنصابِ !
وملْءَ ذراريّ الوجودِ حياتُها
وما شكلُ هذا الكونِ غير إهابِ !

فما كان خيراً ان يُضيعَ صفاته

تنقُّلُ ظلّ أو خليعُ ثيابِ

ويارُبّ موجٍ لم ترَ العينُ رسمَه

وقوّةِ جيش في حدودِ نقابِ !

ما كان حكمُ الفردِ مظهرَ قوّةٍ

بل كان مظهرَ أيّ رأيٍ أحمق

فالنّاسُ ما بلغوا الحضارةَ بالهوى

بل بالتّشاورِ والحجا والمنطقِ

والحكمُ بالدّستور مهما عبثهُ

أجدى وأشرفُ مِنْ صلاحِ المُطْلَقِ

المرأةُ الحسنُ الأعزّ بحسنها   مَن دامَ عاشقَها أُميتَ شهيداً !

وما المرءُ إلا سنونٌ تعدُّ   ورحلةُ ناءٍ أطال الشّراعا

والشعبُ إن تخذَ الارادةَ عمدةً

قتلَ الزّمانَ اذا تهجّمَ صابرا

الجهلُ أولى أن يكون شعارَنا

من أن يُضيعَ العِلمُ حزماً وافرا

وكم مذرفٍ دمعاً لحزنٍ وحولَه
من النَّغَم البسَّامِ ما يكرمُ الدَّمْعا
فانَّ مُوسيقى الحيـاةِ كفيلةٌ
باسعادِ مَن يُشجي وتجديدِ مَنْ يُنْعى

فلو عرف الانسـانُ وعظَ اساءةٍ
ليحذرَ تاليها لما سُفِكَ الدَّمُ
فكم من ضحايا للتهـاونِ والهوى
وصَرْعى تناسَوْا فطرةَ الدّهرِ أو عَمُوا
وما عيبَ بَطشُ الدّهرِ قدرَ خنوعنا
نيـاماً ، وما يُجدي النّيامَ التظلُّمُ

والعمرُ أقصرُ من مجالِ تنابذٍ   ومن المحبةِ فجرُ كلِّ شُعاعِ

خلِّ شكوى الحيـاة يارَجلُ   وخذِ النفعَ من مصـائبها
ليس حظُّ الحياة في رَغَدٍ   لا ولا البـؤسُ في متـاعبها
إنَّ دنيـاكَ في مآتمها   مثلُ دنيـاكَ في ملاعبها

الصفْوُ طفلٌ لاعبٌ لا ينتهي   مِنْ عُمْرِه لمجدَّدٍ ومِثالِ

مَنْ لم يُعظِّمْ للجدود جهودَهم   فهو المحقِّر نفسَه في المنطق

وهو الملقّنُ للبنين بجهلِهِ درسَ التقاصُرِ لا دروسَ تشوّقِ

شَرُّ البلية عن غريبِ سذاجةٍ أن يُرهقَ الخلُّ الحبيبُ صديقا

الشاعرُ الفنّيُّ ليس لنفسهِ لكنْ لملكٍ بالمفاخر بادي
أمّا الغرورُ ومجدُهُ وسماؤُهُ فوساوسٌ لم تقترنْ بجهادِ

لا تحقرنَّ من الصغيرِ ضآلةً فلربما وضح الصغيرُ كبيراً
فالصقرُ قد تشقيهِ ضيعةُ ريشةٍ ما كان يعرفُ قدرَها ليطيرا

وكأنما هذي الحياة بأسرِها صوَرٌ من العبَراتِ في المجموعِ !

لو دامَ صفْوٌ هكذا ما جاز لي أمْنُ الزّمانْ
أو عاش حُسْنٌ طاهراً ما غيّبَ النورَ الدُّخانْ

وليس الهناءُ المحضُ شمسَ سيادةٍ
يصاحبُها النورُ المؤرّقُ والسُّهْدُ
ولكنّه في راحةٍ بعد راحةٍ
من الفكرِ لا يُلْفَى لغايتها حَدُّ

في « الكتاب » :

فيا ابنَ الفكر والقلمِ المعلّى بما يُعْطي العقولَ بلا حسابِ
ضمنتَ لسيرةِ الانسانِ خلداً وعشتَ له عزاءً في الترابِ

لَئِنْ طحنَ الدّهرُ الانامَ فانّني
أحسُّ بانّ الدهرَ لن يطحنَ الأصلاَ
وانَّ ممـاتَ الخلقِ عمرٌ مجدَّدٌ
فانْ تَنْعَ فلتنعَ المظاهرَ والشَّـكلاَ

هيهات تحيـا أمةٌ لم تعتقدْ في حقّهـا المتغلّبِ القهّارِ
إنَّ الحياةَ مشاعرٌ وعواطفٌ وعقائدٌ وتشبُّثٌ بشعارِ
والموتُ في هذا الوجود تضاؤلٌ وتخبُّط بمذلّةٍ وعثارِ
والشعبُ إنْ فقدَ اعتداد شعوره بصفاتهِ فمصيرُهُ لدمارِ

اقبلْ عزائي إنْ رشدْ تَ ولا تضاعفْ من عذابكْ
واضحكْ على نُوَبِ الحيـا ةِ فربَّ خيرٍ في مُصَابكْ

---

* المجدُ يخلدُ إنْ بنتْه عقولُ

وما متاعٌ بجنب شعرٍ يُجَلُّ عن رُتبةِ المتاعِ ؟!

وما الفكرُ الاّ الجوهرُ الفردُ انّه
على كلّ آمالِ الوجودِ رقيبُ
وهيهات أن يُرْثَى ولو ظُنَّ ميّتاً
فكمْ في جمودٍ مُوجِدٌ وخصيبُ

إنَّ الطبيعة في تنوّع شكلها مثلان من حُسْنٍ ومن احسانِ
وبها الصغيرُ قرينُ كلّ مجالٍ في الزوحِ إنْ طُبِعا على الاتقانِ
مَنْ ذا يقولُ بأنّ ذلك خالدٌ واخوه في حكم الطبيعة فانٍ ؟ !
وكلاهما نوعُ الحيـاةِ دقيقةً وكلاهما نوعٌ من الانسانِ !
انّ الحياةَ اذا بحثتَ مشاعةٌ ولربَّ ما اختلفا بها صنوانِ

المرأةُ المَلَكُ الذي في برّه جاء الرسولَ من الالهِ تعالى !

اذا قدّرَ الناسُ الرجالَ فانما بناهُ العُلى تقديرُ كلّ نجيبِ
وما رفعةُ الأوطان الاّ رجالها بعلمِ عليمٍ أو بطبِّ طبيبِ

هيهات تبلغُ امةٌ آمالها
وتسودُ وهي مطيّةُ الفجّارِ
هيهات يعتزّ الأصيلُ ببيتهِ
وهو المطأطئُ للدّخيل الزّاري
غلبَ الحوادثَ والمصائبَ جاهدٌ
عرف الشّهامةَ قبـلَ كلّ شعارِ

انّ الحيـاةَ تجدّدٌ انَّ الحضارةَ كافرَهْ
ما كان أجْدَى ان يديـ ـنَ ولا لحـكم جبابرَهْ

والأصلحُ الأبقى ولو　　لاقى الجيوشَ الكاسرَهْ

ما كان تقديرُ الرجالِ بمظهرٍ　　حتى ولو كان الزمانُ ظهيرا
كلاّ ولا كان الكمالُ بثروةٍ　　لكنّه مُلْكُ النزيهِ كبيرا

كذا الدُّنيا تضيء بها الاماني　　فإنْ غابتْ فلا نورٌ لحيّ!

صدّقوني: كلُّ ما يُجدي لكم　　حدّهُ في حدّ إخلاصٍ متينْ
علمهُ أن تبذلوا من علمكم　　ونداكمْ بذلَ مفتونٍ أمينْ
كلّكم أبناء شعبٍ واحدٍ　　بالإخاء الحرّ والحسنى قمينْ
مَنْ يهِنْ منكم أخاه قد يهُنْ　　نفسَه، اذْ كلّكم ذاك الخدينْ

الحكمُ شورى إن رأيتَ رسوخَهُ　　فهي الضمينةُ دائما اقرارِ
والفردُ والجبروتُ ليس كلاهما　　الاّ سلالة مظلم الاعصارِ

إنّ الابوّةَ رحمةُ الـ　　وجدانِ إنْ قستْ السنونْ
وعذابُها الشّجوُ الجميـ　　لُ وشدْوُها ملءَ الشّجونْ

خيرٌ لفكري أن تُداسَ يراعتي
إنْ فاتَ شعري الحرَّ وحيُ ضميري!

لو أنصفَ الأدباءُ وحيَ عيونهم　　وعقولِهم لأتوا بكلِّ عجيبِ

الموتُ من صُوَرِ الحياةِ وإنَّما
في الناسِ مَنْ لا يفهم التّحويلا!

الحقُّ أضيعُ ما يكون اذا نأى
عن نَصْرِهِ المتهالكُ المقدامُ
والشّعبُ إن جهلَ الحياةَ وقدرَها
هيهات ينصفُ حظَّهُ الحكّامُ
واذا تفكّكَ في مقامِ تعاونٍ
فعلى الكرامةِ والحقوقِ سلامُ!

ولم أرَ كالأخلاقِ مظهرَ أُمَّةٍ
وجوهرها المُحْيي عزيزَ رجائها
ولا مُبدعَ الأخلاقِ كالحرّيّةِ التي
تُغذّي وتُنْجي من طهورِ غذائها

المالُ والسيفُ العزيزُ كلاهما حكما على الدنيا طوالَ قرونِ
ويظلُّ حكمهما المبجّلَ دائماً حتى يفيءَ الناسُ بعد جنونِ!
فما المرءُ إلاّ عاملٌ إثر قوةٍ تسيِّرهُ للنفعِ فهو أجيرُ
فمن عبثٍ هذا الفخارُ بضعفِهِ ولو أنني يومَ الوفاءِ فخورُ

انَّ لأديبَ يُرَدّ عن أحلامِهِ
مثلُ المُحبّ وقد أذيب دُموعاَ :

فلا تغترر من مظهر الحظّ والغنى
فكم قتلَ العقلَ الحصيفَ غُرورُ

تقدّرُ آثارَ العقولِ يراعتي
على العيش لا يومَ الرثاء على الموتِ
فلا خير في التقدير من بعد غُربةٍ
فسدّدْ دُيونَ الفضلِ قبل نوى الفوْتِ

انّ العظيمَ الذي يغدو الإمامَ الجهيرْ
نبْتُ البلادِ التي أعطتْه حقَّ الذكاءْ
وليس مِنْ حظّهِ حبُّه الزعيم الشّهيرْ
لكنَّ مِن حظّها مجهودَه والوفاءْ

ليس اليتامى مَنْ يموتُ عظيمُهُم
بل مَنْ نأى عنهم لخارجٍ وارفُ

أسفي على الانسان وهو مؤلّهٌ بالعقلِ يَفنى والجمادُ يخالفُ
ولو انَّ حرّاسَ الأثير تصونه صوَراً وينشأ بالأثيرِ خلائفُ

ما الشّعرُ تفكهة العليل وانّما　　الشعرُ إلهامٌ ونهضةُ جيلِ
فاذا تدفّق راويا بـل مُخصباً　　سامى والاّ عدّ غير جليلِ

لا شيء في الدنيا الدني بذاته　　للباحث المتفنن النظرات

اذا حُرّيَةُ الناس اضمحلّتْ　　فقد ولّى لهم أقوى عمادِ
ولم أر امةً ولّتْ سواها　　مرافقها فكانت للسداد

رُبَّ حبس يُعدّ حظاً سنيّاً　　يعرف الحبسَ قبلنا الابريزُ
كنْ صبوراً كذا الحياة احتجابٌ　　وانطلاقٌ ، وكم سجينٍ يفوزُ
يُسجنُ الجسمُ بينما الفكر جوّا　　لٌ له في الوجود مُلكٌ عزيزُ

ما الجنسُ للنفس فخراً لها　　إنْ فاتها الجِدُّ وضاع الأدبْ
وربّما كان النّساءُ العُلَى　　وربّما كان الرّجالُ الذَّنَبْ

ما اليسرُ بالدّخل العظيم وانما　　بالقنع ، يتلفُ برّه المتلافُ
والشّعْبُ ثروتهُ غنى جمهوره　　لا أن يُملّكَ ماله «الأشرافُ»

الوهمُ سُلّطَ في الدّنيا فسخّرها
والرّاضخون له في حكم أمواتِ
لو حارب النّاسُ داءَ الوهم ما جزعوا
عند الخطوب ولا خوف الصعوباتِ

لغةُ الدُّموعِ الحزنُ في إرهاقِهِ ودموعُ غالي الصفوِ أسنُ دُموعا

اذا هدم الانسانُ آمالَ جنسِهِ فليس له في العالمين شكورُ
وهيهاتَ يُفني الثَّوبُ آثامَ قسوةٍ تردّدها طولَ الأبودِ عصورُ

وعنايةُ الانسان بالا انسانِ دينٌ للعظيمْ !

وأرى الجمـالَ مُجمّلاً في ذاتِهِ وأرى الملاحةَ في بساطةِ كاسي

لا خيرَ في النظمِ المنمّقِ لاهياً بالسمْعِ لا يغذو عقولَ الناسِ
الشعرُ مرآةُ الشعورِ ، مقامُهُ اسمى من التّلفيقِ والوسواسِ

انَّ الحكيمَ هو المحقّق والذي عدَّ الخصيمَ اذا أفادَ صديقا

اذا عِبْتَ حلماً فالذي أنتَ عائبٌ
شبيهُ سكونِ النُّورِ في كافِ الشّمسِ
وللنفس ثوراتٌ تشعُّ بحرقةٍ
ولكنَّ سلْمَ النّفسِ أفعلُ في النّفسِ

والحسنُ في هذه الدُّنيا على صُوَرٍ لكنما يجذبُ الانسانَ انسانُ

وقائلٍ ذاكَ وَهْمٌ للخيالِ فيا للهِ كم يستوي حِسٌّ وحُسْبانُ !

وتعلنُ أخلاقَ العظيمِ فعالُهُ
كما تعلنُ الأضواءُ مَبْعَثَها الرّاسي

وللناس تحليلُ الصفاتِ بخبرةٍ
كما حللَ الموشورُ طيفاً من الشمسِ
وأشرفُ مقياسٍ لنبلٍ مآثرٌ
وليس بتفخيمِ الجدود ولا أمسِ

خذْ ماتشاءُ ودعْ لي مكرماً شرفي
فضيعةُ الشرفِ الغالي من التلفِ
هو الشعارُ لوجداني وعزتِهِ
هو المثلُ صدقاً مرتقى شغفي
ولو أبيتُ فقيرَ المالِ ذا عوزٍ
فالفقرُ في المالِ غيرُ الفقرِ في الشرفِ

ما أكثرَ المرءَ في ابانِ قوتِهِ وأكثرَ البثَّ والايمانَ إن هزما

يا ما أحطَّ الآدمي بغدرِهِ وأجلَّ كلباً بالمروءة وافِ

هذا هو الانسانُ الاّ في اسمِهِ فيأكرمِ الأخلاقِ والأوصافِ

من لذة الروحِ اسعادٌ واحسانُ
فلن يطيقَ شقاءَ النفسِ انسانُ
وهــذه دولةُ الدنيــا بأجمعها
سمحاءُ ليس لها ظــلمٌ وحرمانُ

لم ينشرْ البؤس في أكنافها جدلاً
الاّ خصامٌ وافسادٌ وبهتانُ
ولو أُتيح لأهلِ العلمِ أن يضعوا
لها النظامَ لما هُنّا ولا هانوا

. . . . المرءُ للمرء انشاءٌ وبنيان

انَّ العظيمَ هو العظيمُ بنفسهِ
في حاليْ الادبارِ والاقبالِ
ومن المصائبِ للشعوب مفاخرٌ
وغداء نهضتها على الأجيالِ
ما مات شعبٌ سطّرتْ تاريخَه
مُثُلُ الآباءِ وسيرةُ الأبطالِ
والناسُ ليسوا في عديد جسومهمْ
لكنْ بأحلامٍ بقين غوالي
هي للتتابعِ والتناسخِ كلما
أفنى الزمانُ لها القديمَ البالي

والعمرُ للامم القرونُ وربما تمضي القرونُ وعمرُها بشبابهِ

وغـذاءُ قوّتها متانةُ خلقها ودوامُ نهضتها دوامُ جوابهِ
انْ نالها التشكيكُ في آمالها هجم الزّمانُ بظفْره ونبابهِ
واذا أبتْ الاّ البلوغَ لحقّها فالحقُّ مردودٌ الى أصحابهِ
وأرى الجهادَ من الجلادةِ سيفهُ وأرى مآلَ الظلْمِ تحتَ حرابهِ

فكم يُبْصَرُ الضدّان في العيش مثلما
تآلفَ طيرُ الغابِ : شادٍ وأبكمُ

كم من نفوسٍ قد تغَصُّ بعَبْرةٍ وعيونُها بشقائهـا جرداءُ
تبكي ولا يدري الأنامُ بكاءها مثل الشجاع يدبُّ فيه الداءُ

ما ليس يثبتهُ الدليلُ فما لهُ قدْرٌ ، وما يسمو اليه يقينُ
الجهلُ أولى بالفضيلةِ ذكرُهُ من أن يُضلّلَ بالعقولِ أمينُ

شرَفُ الحياةِ مشاعرٌ ومآثرٌ وسخيُّ وجدانٍ يعيشُ أميرا
تمضي الجسومُ ـ ولا أقولُ فناؤها حقٌّ ـ ولا يمضي الشعورُ أسيرا
والفكرُ أبقى من زمانٍ بائدٍ والمالكُ التصريفَ والتحريرا
نبكيـه ظلمـاً بينما هو خالدٌ في الصالحاتِ وكم يجوبُ أثيرا

خِصْبُ البلادِ رجالُها ، وما لُها حُكمُ الفضائل أوّلاً وأخيرا

مَنْ ماتَ في تمجيدِها وفخارِها ... حيٌّ، ومارِكُ الجهادَ حقيرا

فخْرُ الحروبِ نَبالةٌ وبَسالةٌ ... شرفُ الهزيمةِ لن يعودَ لعادِ

الشاعرُ القوميُّ يُنصِفُ قومَه ... لا يدفعُ الايمانَ للالحادِ
لن يكذبَ التاريخَ أو وجدانَه ... القاريُّ الإلهامَ خلفَ سوادِ
بل يكذبُ الخلقَ السليمَ محقِّرٌ ... لشهامةِ الماضي وسؤْلِ الغادي

إنَّ المقاتلَ دونَ عقلٍ ماكرٍ ... مثلُ المخاطرِ في غريبِ بوادي
والنصرُ معقودٌ على مُستظهِرٍ ... بالحذقِ قبلَ صلابةٍ وعنادِ
ما السَّيفُ الا القلبُ قبلَ سلاحِه ... والجندُ غيرُ مشاعرٍ ومبادي
تُبنى الممالكُ بالعقيدةِ قبلَها ... تُبنى الممالكُ بالدَّمِ المرصادي

ان تبلغَ الألفاظُ مهما رُنِّقت ... قدْرَ الشعورِ يعيشُ للآبادِ
والواعظون هم الذين بروحِهم ... يُذْكِي اللظى المخبوءُ تحتَ رمادِ
ويجدّدون من المُصابِ عظاتِها ... ومن المآتمِ أشرفَ الأعيادِ

اليأسُ إحدى الرَّاحتين فانَّه ... بُرْءٌ من الشكِّ العتيِّ[1] الجاني
والرَّاحةُ الأُخرى الرَّجاءُ، كلاهما ... مُتَناوِبُ الاحسانِ للانسانِ

(١) العتيّ: الجبار

***

(٣)

صدق الشاعرية

والآن فماذا يقول سادتنا المكابرون في هذه الأمثلة البليغة « لصدق الشاعرية » ؟

اني لا أتعرّض لخيال الشاعر ولا لأسلوبه فقد وفاهما أفاضل من مشاهير الأدباء حقهما في دواوينه السابقة وفي الصحف والمجلات ، وانما أتعرض فقط لمراميه العالية وفلسفته الشعريّة المتمثلة في هذه الابيات الجامعة المقتبسة من ديوان واحد من دواوينه العامرة ، وبهذا تُردّ الطعنات الخاطئة الى أولئك السادة بنفس سلاحهم ، ولكن بشرف ونزاهة في الحكم ، ليعلموا أن بهتانهم هذا يشفّ عن داء عياء في نفوسهم جعلهم يهرفون بما لا يعرفون ، ويسيرون وراء شهوات حَسْبُ المتصف بها أن يُذكر مع الذين مُسخوا وانسلخوا من انسانيتهم الى حالة يعلمها باريُ النَّسم ، ولعلّ السببَ الذي دعاهم الى تحريف الكلم وتبديل ما يقوله الشعراء الذين لا يهابون النقد ولا يخشونه هو عمىً في البصيرة وجهل بالشعر ونقده :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتهُ من الفهمِ السقيمِ

وخيرٌ لهم من طغيانهم أن يستشهدوا بمعانيه المحدثة الدالّة على

اتساع الحضارة وتقدم العلم ورقي الفكر ، وأن يحاسبوا ضمائرهم على ما ينطقون به من كلم هو الكذب والكذب هو ، وأن يتبينوا هل شعر الدكتور أبي شادي جناية على الافهام وهو القائل :

المرءُ في القوة من عقله ... انْ خاصمَ الحكمةَ لاقى الرَّغامْ

والشهوةُ الموتُ امشاقها ... لكنّه موتُ الخطوبِ الجسامْ

أم الشعر الذي يكتبه الخمّارون ليعلنوا عن مسكراتهم ويحملوا الشبان على انتهاك ما حرّم وهو :

(رمضانُ)ولّى هاتها ياساقي ... مشتاقةً تسعى الى مُشتاق ؟!

انه وأيم الحقّ جنايةٌ على النُّطف التي لم تُخلق . . . . . ولو سمحوا لأنفسهم بالاطلاع على شعر المتقدمين لعلموا أنهم مخطئون في تحبيذ من هو عالة على من سبقه من الشعراء ، وانَّ خيرَ بيتٍ قاله كما يزعمون مسروقٌ سرقةً مبتذلةً من بيت كثيراً ماتغنى به المغنون أمام الخلفاء العباسيين .

ولعمري انّ في قول أبي شادي :

انَّ الحكيمَ هو المحققُ والذي ... عدّ الخصيمَ اذا أفادَ صديقا

شهادةٌ ناطقةٌ بنزاهته عن كلّ ما اتّصف به غيرُه من بعض شعراء عصرنا ، وبراءةٌ من عيب النفوس التي تحمل البغضَ لكلّ

من أظهر حقيقةً أو أخفى باطلاً . . . وما على البغضاء بعد ذلك الاّ أن يكبحوا جماحَ غيّهم، ويثوبوا الى رشدهم، ولا يكون حلمُ الشّاعر داعياً الى تماديهم ؛ وهو القائل :

اذا عبتَ حلماً فلذي أنت عائبٌ
شبيهُ سُكون النّور في كلف الشّمْسِ
وللنفس ثوراتٌ تشعُ بحرقةٍ
ولكنَّ سلْمَ النّفسِ أفعلُ في النّفْسِ

ولولا أني سأقفُ عند شعره عامةً وقفةً ليست بالقصيرة في مناسبة اخرى لوفيتُ الموضوع حقه، وأبنتُ لهم مبلغَ جهلهم الفاضح وتحاملهم المعيب، وكنتُ أودُّ أن أذكر كلمةً جامعةً عن قصة (عبده بك) ، ولكن كفاني ذلك غيري من أفاضل الادباء وهو الاستاذ الناقد المجيد عبد الله افندي بكري الذي أشار أيضاً الى قُدرة الشاعر في نظم الحكمة الجامعة عفوَ الخاطر، وهي قدرةٌ طبيعيةٌ لن يبلغها اولئك الشعراءُ الصانعون مهما تشدّق أنصارهم المكابرون بقدرتهم الوهمية، وهي ناحيةٌ من نواحي نبوغ الشاعر آثرتُ عرضَها في هذه السطور للتأمل والمقارنة، وان كنتُ ضعيفَ الأمل في رجوع أمثال اولئك المدّعين الى الرشد

والانصاف . . . . بل أكاد أومن بقول الاستاذ العقاد : « انّ الفروق في فهم الأدب وتقديره بين قوم وقوم ، وبين مثال ومثال انما هي فروقٌ في العنصر والطبيعة قلّ أن يُصلح منها الاطلاعُ ، أو يجدي فيها الارشادُ والانتقاد » . هذا اذا فرضنا حسن النية عند اولئك المدّعين المكابرين ، فما بالك وحسنُ النية معدوم لدى معظمهم ، وماهم الا آلات تحركها شهوةُ العظمة والظهور ؟ ! ولكن هيهات أن تسقط دولةُ الأدب وفي مصر ادباء مخلصون يبجلون الحقَّ المجرّد ؟

عبد القادر عاشور

« انّ طبقةَ الجامدين الذين يبالغون في لزوم التقاليـد هي الطَبقةُ الغالبةُ في الأدبِ المصري الراهن ، وانّ غلبَها هذا يضر الأدبَ ويؤذي الامة في تطوّرها » .

سلامة موسى

« لستُ أدري كيف يأتي لمن لا يكون الشّعرُ من طبيعتِهِ أن يكون ناقداً أديبّاً »

مصطفى صادق الرافعي

فصلٌ ختامي

الشعرُ مرآةُ عصرِه

بقلم الناشر

الشّعرُ بمعناه الاتمّ ـ وتبعاً له الشّاعرُ ـ يجب أن يكون مرآة عصرِه ، ولتنال هذه المرآةُ اعجابنا وعنايتنا وتقديرنا يجب أن تكون صافيةً نقيّةً ، والاّ كانت مثاراً للريبة والشكّ وضاعتْ الفائدةُ المرجوّة منها .

واذا سُئلنا أن نعرّف المقصود بقولنا « مرآة عصره » فانّنا نجيب بأنّ هذا التعريفَ مُشاعٌ بين المباديء والأماني والمعاني والألفاظ . واذا أراد الشاعر أن يتحمّل مسؤوليةَ الزّعامة في قومه أو الاشتراك فيها ترقّبنا منه أيضاً وحياً أجلّ ، وشجاعةً أدبيةً مأثورةً ، ورأياً مستقلاً ، وابداعا جريئاً ، ونظماً شريفاً ، لايتأثّر بالزّهو ولا بالرغبة أو الرهبة .

فمثلاً نحن في عصر الديمقراطية ، ولنا آمال في الاستقلال القومي ، ولنا احتكاك بمباديء التعاون العصري في صنوف الحياة ، وأمامنا من المخترعات والمحدثات العلمية ومن مظاهر الحضارة ونتائجها

الشيء الكثير ، ولعصرنا ما له من أسلوب في التعبير والتفكير .
فالوفاق لهذه العوامل هو ما يجعل الشعر مرآة عصرنا والعكس بالعكس

وما كنتُ لأكتبَ هذا المقالَ لولا أنّ بعض الادباء ممن شاقهم الاطّلاعُ على كتاب (**نظرات نقدية في شعر أبي شادي**) ألحّ عليّ في التوسّع بموضوع « عصريّة الشعر » ليكون البحثُ الاوفى مُثيراً للهمم ، ومدعاة للاصلاح ، ومبعثاً لأمل جديد . وقد تكلّمتُ عَرَضاً في ذلك الكتاب عن شاعرية شوقي بك وعجزها عن القيادة بحكم تقلّبه وضعف شجاعته الادبية .

وفي الحقّ يجدر بنا أن لا نُغفل شوقي بك في أيّ بحثٍ نقدي للشعر المصري ، لأنه ــ وقد كان شاعر الأمير عباس حلمي الثاني خديو مصر السابق ــ جلب له الحظّ والتوفيق لقبَ « أمير الشعر » أو « أمير الشعراء » ، فصار هذا التلقيبُ عادةً كلما أُشير الى نظم شوقي ، سواء أكان المثال المشار اليه نموذجاً للابداع أم مثالاً للاسفاف . . . . واني أستأذن الدكتور طه حسين في قولي إننّا اذا كُنا نحتاج مرةً الى تطبيق مذهب (ديكارت) في دراسة الشعر الجاهلي فاننا أحوج اليه ألفَ مرةٍ في دراسة شعر

شوقي ، وفي تحليل الفوضى العجيبة في أدبنا المصري ... !!

فاذا دار معظمُ هـذا البحث حول شاعرية شوقي بك فليس يعني ذلك أنَّ هذه الشاعرية هي المقصودة بالبحث ،وانما ذلك لأنَّ شوقي بك تصدَّر نزعامة شعرنا المصري ، وعده أصدقاؤهُ المثلَ الأعلى لما بلغه الشعرُ في عصرنا بل في قرون من الاشراق والسموّ ، فلا مفرّ إذن من بحثه ولو بحثاً مجملاً في مجال الاستشهاد و الاعتبار.

واني لا أجهلُ أنّ شاعرنا من محبّي شوقي بك حُباً جمّا ومن مُقدّري عبقريته ، ولكنّ نظرتَه الى شعره محصورةٌ في وجهة واحدة - وجهة الحسنات بالنسبة لغيره من رجال طبقته ، ومتأثرة بودّه القديم له كما قلتُ له مراراً ، فليست اذاً بالنظرة الشاملة التي ينزعُ اليها هذا النَّقد ، كذلك لا أجهل أن الدكتور هيكل بك ممَّن تعرضوا لتحليل شاعرية شوقي فأخفق في ذلك ، ولم ينصفْ الأدبَ المصري ، ولم يساعدْ حركةَ التَّجديد أدنى مساعدة ، وما ذلك إلاّ لأنه بذل أقصى مجهوده في ستر عيوب صديقه « أمير الشعراء » ، فكان - في تصرّفه هذا - الرّجلَ الصحافيَّ السياسيَّ الماهر ، لا الأديب الناقد المحقّق ، وجاءت مقدّمتهُ (للشوقيات) وشروحهُ لقصائدها مجموعـة أغاليط كما سنبيّن فيما بعد ، وكما يعلم

المطلعون من الادباء . وكلُّ هذا مما يضطرنا الى مؤاخذة « الحزب الشوقي » الذي أساء الى شوقي بك ذاته كما أساء الى الأدب المصري ، وإلاّ فلا معنى لبحثنا الجدّي في صحة تمثيل الشعر لعصرنا ، بل لعلَّه من الاستخفاف بقدر شوقي بك ذاته ونبوغه المشهود به أن نُغضي عن ذلك .

من الجائز أنَّا كنا نغدو الفائزين بصورةٍ بديعةٍ أمينةٍ للشّعر في عصرنا بقيادة شوقي بك وزملائه لولا اعتبارات نذكرها ونحلّلها بقدر ما يسعُ المقامُ، لعلنا بذلك نمنع استمرارها ، أو نخفّف من آثارها السيئة ، أو على الأقلّ نعرض مادّةً جديرةً بالذكر والاعتبار لشعرائنا الناشئين الذين يتطلعُ الأدبُ القومي الى خدمتهم الصادقة . ولماذا نُدلي بهذا الظنّ أو الترجيح ؟ ذلك لأنّنا نعرف أن شوقي بك شاعرٌ بسليقته ، ماهرٌ في صناعته ، مجدّدٌ أحياناً ، يستطيع الاكثارَ متى أراد ، فمن الغريب بعد ذلك أن يخفقَ في مهمته ، وأن لا يستحقَّ ذلك اللقبَ الذي تحفظهُ له ثروتهُ وجاهُهُ قبل شعره وروحانيّته . وما هذه الاعتبارات ؟ هي بلا نزاع :

(١) ـ انّ شوقي بك ارستقراطيُّ النزعة ، وقد تربّى على

الاخلاص للحكم المطلق .

(٢) — أنّه لم يشارك جمهورَ الشعب مشاركةً جدّيةً في عواطفه ولم يشجّع قوميته .

(٣) — أنّه هادمٌ للتعاون الأدبي ، ذو أنانية عظيمة .

(٤) — أنّه ـ حبّاً في نيل تصفيق الاغلبية المحافظة ـ كثير التعلّق بالماضي ، ولو ناقض تربيته وخالفَ ضميره .

(٥) — أنه غالباً لا ينصف عصرَه ، لا في تعبيره ولا في تفكيره .

وهاك شيئاً من البيان لا يمكن أن أتّهمَ فيه بخصومة ، فإنّ أقرب الناس الى شوقي بك من أعزّ الاصدقاء عندي ، واستُ من يزاحمُ شوقي بك في مكانته لا قدّر الله ، ومن جهة أخرى فشاعرنا ممن يحبون شوقي بك محبةً وافيةً لا تنكر (*) وممن يرفع شوقي فوق منزلة

(*) هذا مثال للجاذبية الشعرية وللعاطفة الادبية الشريفة اللتين مايزال يبديهما الاستاذ الدكتور ابو شادي نحو شوقي بك . أنقله عن صحيفة (كوكب الشرق) الصادرة بتاريخ ٢٠ يونيه سنة ١٩٢٦ ، وهو خطاب رد به على ملاحظة الاستاذ الكاتب الاديب محمد عبد المجيد حلمي صاحب مجلة (المسرح) وأحد محرري (كوكب الشرق) . وهذا نص الخطاب : ـ

العاطفة المقيدة

في شعر شوقي

سيدي الاستاذ محرر (الكوكب)

أشار الاستاذ عبد المجيد حلمي الى ماسماه العاطفة المقيدة في شعر شوقي ،

المتنبي ، وأبي تمام ، والبحتري ، ولم يزد ما قاله الجارمُ أو خيرت ولا غيرهما في تقدير نبوغ شوقي بك على ما قاله شاعرنا[1] ، بل قد اقتبسوا فعلاً من دراسته وتحليله ، وإذن فإنما أكتبُ هذه السطور المستقلة خدمةً للأدب ونصرةً للحقّ ، وانْ أنكرها أو أنكر معظمها صديقي الشاعر ، وإنْ أمِنَ على انكاره سواه من أصدقاء شوقي بك ، ولكني رجلٌ صريحٌ وصديقي الشاعر يكرم

وهو تعريف مهذب لما يصح ان يسمى بشعر الصناعة الاضطراري . ولا أحسب أحداً من محبي شوقي بك يرضيه هذا الوصف ، وما دام الاستاذ عبد المجيد يؤمن بذلك فكان الواجب عليه أن ينحي باللائمة على شوقي بك لا أن يتلمس العذر له . فما من عذر لشاعر ما كيفما كانت منزلته ـ ولا سيما لمثل شوقي بك ـ في أن يقبل النظم بموضوع لا يقره وجدانه وعواطفه .

ومن العجيب ان الاستاذ عبد المجيد ضرب المثل بقصيدة « مملكة النحل » فمن ذا يا ترى الذي ألح على شوقي بك لينظمها ؟ الواقع يا استاذ أن شوقي بك نظم هذه القصيدة من تلقاء نفسه ، وتفضل من تلقاء نفسه فشرفني بالقائها مع خطبتي عن « انهاض تربية النحل بمصر » التي القيتها بمدرسة الزراعة العليا في فبراير سنة ١٩٢٣ . واني أعد هذه القصيدة الفنية البديعة من مفاخر شوقي بك ، بل من مفاخر الشعر العربي ، بل من مفاخر الشعر عامة . ولست من يلقي القول على عواهنه بهذا التقرير ، فقد اطلعت على عشرات القصائد والمقاطيع الشعرية عن النحل من نظم شعراء الغرب ودرستها ، وهذا حكمي بعد الدرس والامعان

(١) راجع ديوان « أنين ورنين » .

صراحتي ، وهو شعورٌ شريفٌ منه أحمده له كثيراً .

* * *

(١) ـ قلتُ إنَّ شوقي بك ـ الذي يؤتَمُّ به والذي يجب أنْ يكون المرآةَ الصَّقيلة السنيَّةَ لعصره ـ ارستقراطيُّ النزعة ، وقد تربَّى على الاخلاص للحكم المطلق . وبحسب القاريء أن يذهب الى دار الكتب المصرية ويتصفَّح الطبعة القديمة (**الشوقيات**) ليرى أنَّ هذا الأديب الكبير الذي دَعَوْهُ « أمير الشعراء » بذل أقصى مجهوده لخدمة الحكم المطلق ، ولم يتكون له مبدأٌ خاص يسعى لتحقيقه ، بل كان لسانَ بيئتِهِ الخاصة ، أو بعبارة أوضح لسان المعية الخديوية ، يدعو الناس بكل قواه الى الخضوع والخنوع للحاكم المطلق ، ويلهو ويعبث بقصائد التهنئة المألوفة التي كانت تنشرها له الصُحُف . ولكن مجهودَهُ كان مزدوجاً : مجهود شعره في المدائح والتهاني الخديوية الفارغة ، ومجهوده السياسي في مناورات ودسائس كثيرة ، لمصلحة وليّ نعمته . . . فلما اشتدَّت وطأةُ الاحتلال واتجه الجمهورُ الى الشعراء ليشاركوهم أتراحهم وليشجعوهم جمد شوقي بك ولم تسعفْهُ طبيعته !! ولكن تقدَّم شاعرُ مصر الكبير حافظ بك ابراهيم كما تقدم من كبار شعرائنا احمد محرم واحمد الكاشف ، وأخيراً احمد نسيم —

بعد أن كان في وقتٍ ما شاعرَ المحتلين يتغنى بمدائحهم ، غفر الله له خطيئته — فابلَوْا بلاءً حسناً في بث الرُّوح القومية ، وتصدَّرهم حافظ بك ابراهيم الذي لُقب عن جدارة « بشاعر مصر الاجتماعي » .
ولبث الحالُ على هذا المنوال الى أن اعتزل اللورد كرومر السياسة المصرية ، فنظم شوقي بك متستراً وارضاءً للخديوي عباس قصيدته التي يقول في مطلعها :

أيامُكمْ أم عهدُ (اسماعيل)
أم أنت (فرعون) يسوسُ (النيل)؟!

فلم تكن في مستوى قصائد حافظ ، لأنَّ شوقي وقتها لم يكن تمرَّن على هذا الضرب من الشعر ، ولكنَّ شوقي شديدُ الغيرة ، فحاول تدريجياً فيما بعد مجاراة حافظ ولكنه قلما نأى في جميع شعره السياسي الاجتماعي عن تقديس الحكم المطلق ، حتى أنه لم يتردد في البكاء على سقوط عبد الحميد السفاك ....!! وقد أشار الاستاذُ المحقّق سلامة موسى الى هذه النزعة الشوقية في مقالٍ نقديّ نشرته مجلة (الهلال) .

* * *

(٢) ـ وقلتُ إنّه لم يشارك جمهورَ الشعب مشاركةً جدّيةً في عواطفه ، ولم يُشجّع قوميته ، لأنه حصَرَ مجهوده في طَرْق كلّ

موضوع ينال من ورائه فائدةً كالمدائح الخديوية والسلطانية ، والاشادة بتركيا والاتراك ، بينما (مصرُ) الأسيفةُ في أمسّ الحاجة لتكرار نظمه في سبيلها ، وبينما المصريون يعوزهم من يبثُّ فيهم رُوحَ الاستقلال التام والاعتداد بقوميتهم (١) . وهيهات ينسى تاريخُ الادب المصري للشعراء الثلاثة حافظ ومحرم والكاشف

(١) يلجأ بعض الادباء في هذا الزمن الأخير الى ما أسميه صراحة تزويراً في تفسير شعر شوقي بك ، كاعتبارهم قصيدته النقدية للمرحوم رياض باشا مثالا لشعر العاطفة الوطنية ، مع أنها كانت أصدق مثال لعبوديته للخديو الذي كان يأمر شوقي بأوامره حتى في الأدب . . . فلما مات رياض باشا رثاه وعدد ذنوبه القومية « هنات » ، وما ذلك الا لانه كان وقتئذ حائزاً لرضاء الخديو للأسباب الطائفية المعلومة . وقس على ذلك امتناع شوقي بك عن رثاء الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده — ولو سراً — مجاراة لحقد الخديو . . . . وكل ذلك مما يدلنا بكل أمانة على نفسية شوقي وشاعريته التي تنتمي الى فخامة اللفة والنعمة والزهو ، كما تنتمي الى التقلب والرياء . ولا يمكن أن يقول اي مؤرخ أمين ان هذه الشاعرية ذات صلة وثيقة بالشجاعة الأدبية ، أو بحب التجديد الصادق ، أو بالوطنية الخالصة ، أو بالزعامة القومية الحرة . وفي رأيي ان اولئك المغالطين الذين يتزلفون الى شوقي — بل الى جاه شوقي ونفوذه — بتصويره في صورة البطل الفاتح العظيم ، ناسين أو متناسين الظروف التي نظمت فيها قصائده ، وحقيقة مراميه ، هم سواء واولئك الذين ينالون من ناحية اخرى محاولين تجريد شوقي من كل فضل وهدمه هدما تاما . . . وشتان بين النقد الذي تمليه الكراهية والحسد ، وبين النقد الأمين البريء مثل ذلك الذي كان يكتبه المويلحي وما كانت تنشره مجلة (الثريا) وغيرها منذ ربع قرن نقداً لشعر شوقي . . . . فأين ذمم الأدباء ؟ !

مجهودهم القيّم في هذه السبيل رغم ما يُعدّ عليهم من عثرات ، بينما كان شوقي يلهو بما لا يجدي وطنه ولا يدفع عنه ضرّاً !! فلما رأى شوقي بك اكبار الشعب لحافظ بك ابراهيم على الأخص دفعته الغيرة — التي لها منا أوفى الشكر . . . . . — الى السير في نهجه ، فكان رثاؤه الوطني لمصطفى كامل ، وتدرّج بعد ذلك في موضوعات اخرى كما نلاحظ في وقتنا الحاضر ، ولكنّ كثرة تذبذبه وحيرته أسقطتنا قيمة منظومه الاجتماعي ، وجعلتنا قدرَهُ محصوراً غالباً في قدرة الصناعة والنظم فحسب . وفي هذا خسارة عظيمة لأدبنا المصري ، لأنه لولا طبع شوقي لكان في وسعه أن يكون غير شوقي المعروف في نفوذه وإجلال الشعب له ومتابعته ، فهو اسمى خيالاً من حافظ ، وأكثرُ إنتاجاً وأوسعُ معرفةً ، ولكنّه ترفّع عن مشاطرة الشعب عواطفه الاّ نادراً ، وغالباً حباً في الظهور لا تزكيةً عن أدبه ، كما يعلم كلُّ أديبٍ مطّلع على الظروف والدواعي والمناسبات التي نظم فيها قصائده ، وان حاول الدكتور هيكل بك تفسيرها تفسيراً مخالفاً للواقع في شرح (الشوقيات) ، وجاراه بعضُ الكتّاب في ذلك إما مجاملةً لشوقي ، أو رهبةً منه ، أو تمسحاً بشهرته، أو عجزاً عن البحثِ المستقلّ النّزيه .

***

(٣) — وقلتُ إنه هادمٌ للتعاون الأدبي وذو أنانية عظيمة، كما يشهد التاريخ الشخصي لمعظم أدباء عصرنا، فما منهم أحدٌ إلاّ وناله ضررٌ من حسد شوقي بك وكان شاكياً من قلة بل عدم وفائه. وكم جاملتْ بعضُ الصحف الشهيرة «أميرَ الشُّعراء» فأغلقتْ عمداً أنهارها لسواه من أدبائنا، أو لم تحفل بآثارهم القيّمة، مما جعلهم يعزفون عن العمل ويلعنون زمانهم. وإنك لترى الصّحافة الغربية المنشط الأول للأدباء، بينما صحافتنا المثبّط الأول لهم، إرضاء لشهوة «أمير شعرائنا»! ويكاد يكون مشروطاً عليها أن لا تنشر شيئاً لشوقي بك مهما كانت قيمتهُ إلا بعد أن تضعَ له أفخمَ العناوين ومقدّمة طويلة عريضة كلها تشويقٌ وإطراءٌ ومبالغات ما أنزل الله بها من سلطان.... !!

قال أحدُ محبّيه (١): «إذا أسمعتَ (شوقياً) إطناباً في شعر غيره فثقْ بأنّه ليس على تمام الرّضى عن هذا الإطناب، ولو لم يبدِ لك سخطَه، وإذا قدّمتَ عليه سواه من الشعراء ولو في قصيدةٍ فأنتَ الجاني على مكانتك عنده...» ! هذه هي الحقيقة

(١) جريدة (الاتحاد)، عدد ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٥

المؤلمة النفسية شوقي بك التي جعلته أول هادم للتعاون الأدبي ، ولا عبرة بما يقوله أصدقاؤه تبريراً لمسلكه أو ستراً لعيوبه ، ولا أعرف أنه ساعد مرةً أديباً الا لانّ ذلك الأديب كان في طليعة المصفقين له إنْ صدقا أو كذباً ، ولهذا السبب وحده ! وفي هذا ما فيه من ارهاق للشجاعة الأدبية ، وإضاعة للنقد الأدبي السليم. وعلى عكس ذلك فاساءاته للكثيرين من الادباء معروفة ، تتناقل أحاديثها مجالسهمْ منذ ربع قرن ، أي منذ بدأ شوقي يقاوم عطفَ الخديو عباس على حافظ ابراهيم. ولا أبالغ اذا قلت إن شوقي بك — ومن ورائه طائفة من أصدقائه الصحفيين — مسؤولٌ عن قبر نوابغ شعرائنا ، بنفوذه المادي وغير المادي ، وبما كسانه الصبيانية ، حتى اعتزلوا تدريجياً قرضَ الشعر ، وأصابهم اليأسُ والقنوط ، وبلغ من بعضهم الخوفُ على مراكزهم وأرزاقهم فتمسحوا به ، وبايعوه « بالامارة » الشعرية في غير اخلاص وفي غير يقين . فتأملْ ما في هذه الحالة من الفساد المُزْري بنا . . . ! !

ولو كنتُ شاعراً في منزلة شوقي ونبوغه الممتاز لعملتُ على تكوين « رابطة » لشعراء مصر ، ولأخذتُ بأيديهم وعملنا جميعاً لخدمة الشعر والوطن ، وفي هذا فضلٌ وشرفٌ عظيمٌ اسمى مراراً

من أمداح النفاق التي تكيلها له الصحف جزافاً ، وأجدى من حصر الشهرة والانتاج في شخصه ، تاركاً غيره بين الرهبة واليأس والسخط والشكوك .

***

(٤) — وقلت إنه حباً في نيل تصفيق الاغلبية المحافظة كثير التملق بالماضي ، ولو ناقض تربيته وخالف ضميره . وشواهد ذلك كثيرة في شعره ، فهو اذا نظم قصيدة للازهريين مثلاً فما ذلك لاعتقاده بصواب ما ينظم ، وانما لمجرد حبه لاكرام هذه الطائفة الكبيرة من القارئين له ومجاراة لاشارة عظيم موعز له بذلك . وقس على هذا في شتى منظوماته العربية والاسلامية . يكفيه أن يسمع تلقيبه « بامير الشعراء » وحث اصدقائه له لينظم في هذا الموضوع العربي أو الاسلامي ليجاريهم طمعاً في زيادة الظهور ، وان كان وطنه البائس أحوج لمجهوده ، فيجيء استاذنا الدكتور هيكل بك ليقول إنه شاعر الجامعة الاسلامية والعالم العربي !! . . . وأين يذهب يادكتور شاعر عظيم مثل الكاظمي ـ استاذ شوقي ـ وهو شاعر الجامعة الاسلامية والعالم العربي بالمعنى الأكمل الأصدق الأوفى منذ سنين وسنين ؟ ولا أقول أين يذهب فؤاد الخطيب ومعروف

الرُّصافي وخير الدين الزركلي وغيرهم وغيرهم ، فحسبي ان أذكر الـكاظمي الكبير وحده الذي خدم الجامعة الاسلامية والعالم العربي كثيراً بصدق واخلاص ، وعانى في سبيل ذلك ماعانى .... وزاد استاذُنا الدكتور هيكل بك ضغثاً على ابالة ـ وهو الرجلُ المجدّدُ الجريء ـ بقوله إنّ شوقي بك شاعر الحكمة العامة ، وذلك لمجاراته المتقدّمين ـ وعلى الأخص للمتنبي ـ في طريقة مواعظه ، وجلّها إن لم أقل كلها من قديم المواعظ التي سئم منها الدهرُ قبلنا ، فيجيء شوقي بك ويصوغها في قوالب جديدة ، وكثيراً ما تُمسخ ، و تسمى حينئذ «شواهد الحكمة العامة » ... !! واذا كان ذلك كذلك فبماذا تُسمّى حكَمُ الزّهاوي الثمينة ، وفلسفتُهُ العصريةُ الغالية ، وروحانيتُهُ العظيمة المتلألئة بالتهذيب العالي ؟ رحم الله من قال : « وعينُ الرّضى عن كلّ عيبٍ كليلةٌ » ....

* * *

(٥) ـ وقلتُ إنّهُ غالباً لاينصف عصرَه لافي تعبيره ولا في تفكيره . ومن العجيب أن يقول بعضُ مادحيه مدافعاً : عندك مثلاً همزيته للمؤتمر الشرقي الدَّولي سنة ١٨٩٤ م ... بينما هذه القصيدة ـ وموضوعها مسبوقٌ اليه في القرن الماضي ـ تكاد تكون محصورةً

في فصل تاريخي منظوم مقتبس من كتاب مدرسي ، وما كانت تليق بالنظم لتلك المناسبة ، فليست في قالب قصصي فنّي ، بل هي مجموعةُ تواريخ وأخبار وملحوظات مألوفة . وقد صدق المرحوم اسماعيل صبري باشا في قوله : « شوقي ينظم ، وحافظ يبني ، ومطران يبتدع » (١) . وهو حكمٌ امتعض منه شوقي بك طويلاً ، ثم أخذ اصدقاؤه يشرحونه ويفسرونه بما يرضي كبرياءه.

جميل من شاعرنا الدكتور ابي شادي (ومن غيره من محبّي شوقي بك) أن يعلن انّ آثار شوقي بك في نظره أرقى من آثار المتنبي والبحتري وابي تمام مثلا من بعض الوجوه ، ولكنّ هذا التقرير مستغربٌ من مثل شاعرنا الذي يعدّ شعرهُ كما قالت مجلة (روز اليوسف) : « صورةً حقّةً للشعر المصري المصري » لولا علمي أنه من يحفل بالحسنات ولا يفتش عادةً عن السيئات ، فليس حكمه اذاً حكم الناقد . وقد أفهمُ الجاذبية بين الشعراء ، كما افهم تأثير الودّ والوفاء الشخصي ، ولكني أرى في هذا التقرير ظلماً للمتقدمين من اولئك الشعراء الفطاحل ، فهؤلاء قد مثّلوا عصورهم بحسناتها وسيئاتها أصدق تمثيل ، بينما « أميرُ شعرائنا » لم يمثل شيئاً ثابتاً .. ولو عاشوا في عصرنا لربما كنّا الظافرين بمعجزات فنية من عيون

(١) « اسماعيل صبري ـ حياته وشعره » : ص ٢٢

شعرهم : فدفاعُ شاعرنا ودفاع غيره عن شوقي بك لا يجـدي شيئاً .
وليس عيب شوقي مقتصراً على تقلّبه السياسي وارستقراطيتـه كما قال الدكتور ابو شادي فحسب ، فانّ ما يؤاخذ عليـه شوقي بك منشعبٌ ، وانما يؤاخذ عليه لانّه المتصدّر للزعامـة الشعرية ، فيجب ان يكون المثلَ الأعلى في صفاته . ومن رأي شاعرنا انّ شوقي بك زعيمُ مذهبه ، ومن العبث مطالبته وهو المحافظ النزعة نسبة بقيادة مَذْهَبٍ أجدّ ، فليترك هذا المذهب الجديد ورجاله وبينهم شاعرنا لينظموا انفسهم تدريجياً دون الغض من قدر شوقي وما آثره . ولكنه من الصعب قبول هذا الرأي بينما شوقي بالمرصاد لكلِّ جديد ولكل نابغ يبتدع ولو كان من اصدقائه ، وهذه هي خلاصةُ حكمي .

قلتُ مرة لصديقي حسين شوقي ـ نجل شوقي بك : أليس الاولى بوالدك الجليـلِ أن يكون زعيمَ المجدّدين بعد أن مضى عهدُ المحافظين وطالت رئاستهُ لهم ، فكان جوابهُ انَّ والده يشعر بأنّهُ الامينُ على اللغة العربيـة ، ولا بدَّ له من استمساكه بمقعدها القديم . . . . !
فعجبتُ لذلك وقلتُ في نفسي : وأين منزلةُ شوقي بك اللغوية أو آثاره اللغوية شعراً ونثراً من آثار خليـل مطران ومصطفى صادق الرافعي ومحمد صادق عنبر والأمير شكيب أرسلان وعبـد المحسن الـكاظمي واسعاف النشاشيبي وقسطاكي الحمصي ، وأنيس الخوري

المقدسي وغيرهم وغيرهم ؟ ؟ أليست هـذه تكأة باطلة ؟ أما كان الأجدر بشوقي بك أن يفسح المجال لغيره مادام لا يريد أن يواصل سيره الى الامام ؟ . . .

لقد وضعتْ الظروفُ والثروة – قبل المواهب – شوقي بك في منزلة ممتازة ، وأعانته على الانتاج والتجديد لو أراده ، ووضعت في عنقه أمانةً عظيمةً للجيل الحاضر والمقبل ، فما أدّى واجبَه بل أساء الى غيره من الشعراء العاملين ، فكتب حديثاً أحدُ أصدقائه وهو الاستاذ محمود مصطفى في جريدة (**البلاغ**) : « ألا فليعلم حضرات الادباء أنّه يستحيل أن يكون شاعر كثير القول مثـل شوقي ثم لا يُؤخذ عليه شيء ولا تُعَدُّ له سقطات ، وانَّ كلَّ ماقيل فيه قديماً ويُقال حديثاً من المدح فهو متَّهم مالم يُشفَعْ بما يعدُّ عليه ويُؤخذ به . لذلك أتقدم بالنَّصيحة الى شوقي بك ألاَّ يغضب اذا هو انتقِد ، وألاَّ يدع أشيـاعه يغضبون له ، فقد وضح أمامه وجهُ الصواب في أن يُقالَ له وعليه ، كما أرجوه أن يأخذَ العهدَ الأكيد على ذلك العصبّي المزاج ، السريع انتفاخ الأوداج : حضرة الطبيب المتأدّب ، أو الأديب المتطبّب ، فلا يتركه يسرع بالايذاء لـكلّ من يتعرض لمولاه شوقي بكلمة حقّ ، ومقالةِ صدقٍ » . . . . تأمّلْ في هذه الـكلمة الصادقة من

أديبٍ معروفٍ بمحبته لشوقي ، ثم تأسفْ معي وتحسَّر على ذهنية « أمير شعرائنا » وعلى شِمار حاشيته في الاساءة الى كلّ من يجرأ على نقد أدبه ، بينما الناقدُ المخلصُ الأمينُ أولى بشكرهم لو أنهم عقلوا !!

قرأتُ لشوقي بك قصيدةً أو قطعةً شبهَ تمثيلية عنوانها (أبو الهول) كانت حقاً عصريةً في الاسلوب والتفكير ، ولكنها في حكم الشاذّ الذي يبرهن القاعدة — قاعدة المحافظة الغريبة المتليء بها شعره . كأنما كلّ ما كنا نرجوه من البعث الشعري هو اعادتنا لعهد الامويّين أو العباسيّين ، وليس الوفاء لعصرنا الحاضر !!

يعلمُ شوقي بك أن الشاعرَ العربي القديم وعظَ عصرَه بقوله :

اذا لم تتَّسعْ أخلاقُ قومٍ ... تضيقُ بهم فسيحاتُ البلادِ

فاذا بشوقي بك لا يرضيه إلاَّ أن يقول هو أيضاً :

وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ ... اذا أخلاقهمْ كانت خرابا

وما شاكل ذلك ، فيصفّقُ له السادةُ المحافظون ، ويستمرُّ هو في تضمين شعره منظوم (ادب الدنيا والدين) واضرابه من مؤلفات المواعظ القديمة ، وهذا ما يسمّيه الدكتور هيكل بك « بالحكمة العامة » ... سامحه الله . . . !

ولو وقف الدكتور هيكل بك موقفَ الناقد المجدّد المنْصِف الغيور على حرمة الادب العصري لتساءل معي : لمــاذا يصيب تفكير شوقي العقمُ فلا يكون أسبق من العقّاد مثلاً في نظم مثيلة قصيدته الفنية البديعة : « ترجمة شيطان » وفي نظم أشباهها ، بدل قصائده المألوفة التي لا تكاد تتغير في اسلوبها البحتريّ ولا تحيد عن نزعة ابي الطيب ؟ ولماذا يُتعب شوقي رأسه في نبش المعاجم اللغوية ، والاكتفاء باحياء تعابير وألفاظ قديمة ، بدل الاقتباس من لغة عصره بعد الصقْل والتهـذيب ؟ ولماذا يجرأ مرة على كسر بعض القيود القديمة كما فعل في تائيته التي أنشدها في حفلة تكريمه ببيروت ثم يجبن عن مواصلة تحرير الشعر المصري من سخافات العروضيين هرباً من النقد ؟ ! ثم لماذا لا يبتدع فيستعمل في شعره كلمة « فنَّان » أو « مثَّال » أو « شخصية » أو « روعة » أو « جهود » غيرها مما هي مطبوعة بالطابع المصري العصري المهذَّب ، ولـكنه يُقر مثلاً كلمة « مجارى » في قول أحد الشعراء المعاصرين:

أفْتِنا في مُحبّ قومٍ كرامٍ ... مذْ نأَى دمعُهُ جرى كالمجاري

مع أنَّ هذه الـكلمة وانْ كانت عربيةً صميمةً فهي لا تُناسب ذوقَنا المصري في موضعها هذا كما لا يخفى ، وأشباهها كثيرات ؟ ومن سوء حظّ الادب أن شوقي بك أكثر تلبيةً

لنقد المحافظين منه الى نقد المجدّدين ، وماذاك الاّ لأنَّ اولئك يمثلون أغلبية قارئيه[١] . فبعد ان كان يستعمل « بنوك » و « فتبول » و « الترللي » ونحوها في شعره صار يودُّ الآن أن يُعرف بالشاعر العربي القحّ ، حتى لا يُتّهم بضعف اللغـة ، ولو أدَّى ذلك الى اتهامه أحياناً بعجز الشاعرية وعدم الوفاء لعصره ..!! هذه هي المأساةَ التي نشاهدُها بينما ادباءُ الغرب يضيفون كلَّ عام آلافَ الـكلمات الى لغاتهم ما بين ألفاظ مؤلّفة تأليفاً ، وما بين صياغات جديدة لألفاظ قديمة ، وما بين كلمات عصرية عظيمة الدلالة على بيئاتهم ولو كانت عامية الأصل ، فأفادوا آدابهم ، وانطلقوا وراءَ الجوهر والثروة الفنّية الحقّة . وقد ذكرنا الاستاذ داوود بك بركات

(١) هذه أمثلة اقليل من كثير من الالفاظ الميتة التي يحاول الآن الحزب الشرقي احياءها بدل استعمال الالفاظ المصرية المصرّية المصقولة ، وحجتهم أنها كانت فصيحةً في عصرها ، متجاهلين أنها ميتة وغير مقبولة في عصرنا الحاضر :
المخشلب بمعنى الزجاج ، والتنويش بمعنى الدعوة للضيافة ، والمماظة بمعنى شدة المنازعة والمخاصمة ، والاّحط بمعنى الرشّ ، والضّبزن بمعنى الحافظ الثقة والمثاعث بمعنى الشدائد ، والشدقم بمعنى للنطيق البليغ المفوّه ، والحصلب بمعنى التراب ، وهلمّ جرا . . . .
ولـكن ماذا يرجى ممن يفاخرون بتقليد العرب بدل تصوير بيئتهم الحاضرة ، وممن يجيبونك بالنفي القاطع ثم يوصمك بالضعف الأدبي اذا طرحت عليهم سؤال المازني : « ألسنا الوارثين لغتهم ، وللوارث حق التصرف في ما يرث ؟ » . . . .

بكلمة (بوصوه) ـ أكبر خطباء فرنسا وأبعدهم شهرة وصيتاً من أيام لويس الرابع عشر الى اليوم ـ وقد عابوا عليه مخالفةَ الاجرومية أحياناً ، فقال : « انَّ النسرَ اذا انقضَّ لا يقفُ إبَّان انقضاضِهِ أمام البعوضة » . . .

هذه هي الاعتبارات التي لو استطاع النَّقْدُ الأدبي البريء أن يدفعَ شوقي بك الى التغلب عليها فاننا لا نكتسب من نبوغه آثاراً جديدة قيّمة فحسب ، بل يكون لنا منه مثلٌ صالحٌ عظيم لتابعيه . ومثلهُ في نضوج عمره وأدبه جديرٌ الآن بأن يتغلّب على شهواته ونزواته ، وأن ينال عن حقٍ المنزلة التي وضعته فيها المقادير ، وأن يحافظ عليها بقيةَ عمره الطويل ، والاَّ فلا مفرَّ من تنحّيه رغماً ، ومن فوز غيره مقتدراً بزعامة الشعر بعصرنا الثائر ، وان يجديه حينئذٍ تأنّقُهُ في طبع ديوانه وكثرة اعلانه عنه ، فانَّ البقاء للجوهر الصادق الشريف ، لا للعرض الزائف المتألّق .

***

والآن فأملي أن يُمعنَ الشَّبابُ من شعرائنا النّظرَ في ملحوظاتي السابقة ، وأن يتطبّعوا بروح العصر ، وأن يقدروا قيمةَ الأمانة الأدبية ، وأن يعتقدوا في أنفسهم بعدَ المقارنة والتأمّل أني على

صواب في ما اشترطتهُ من قواعد لتحقيق ان الشعرَ الصحيحَ مرآةُ عصرِهِ ، كذلك أرجو أن يستفيدوا من أخطاء شعرائنا المحافظين حتى يجيء بناؤهم أمتنَ وأليقَ بعصرهم .

وأخيراً بودّي أن يجعلوا من أقدس مبادئهم خطةَ التعاون الأدبي والبناء مع الهدم ، لا الهدم فقط ، وأن يمجّدوا الأدبَ وحدَه ، فتسمو أقدارهم بسموّه ، وبينما هم لا يخسرون ـ بل يكسبون الشرفَ والفخرَ ـ يغنمُ الأدبُ والثقافةُ أيضاً الحظَّ الوافر لخير الانسانية ؟

حسن صالح الجداوى

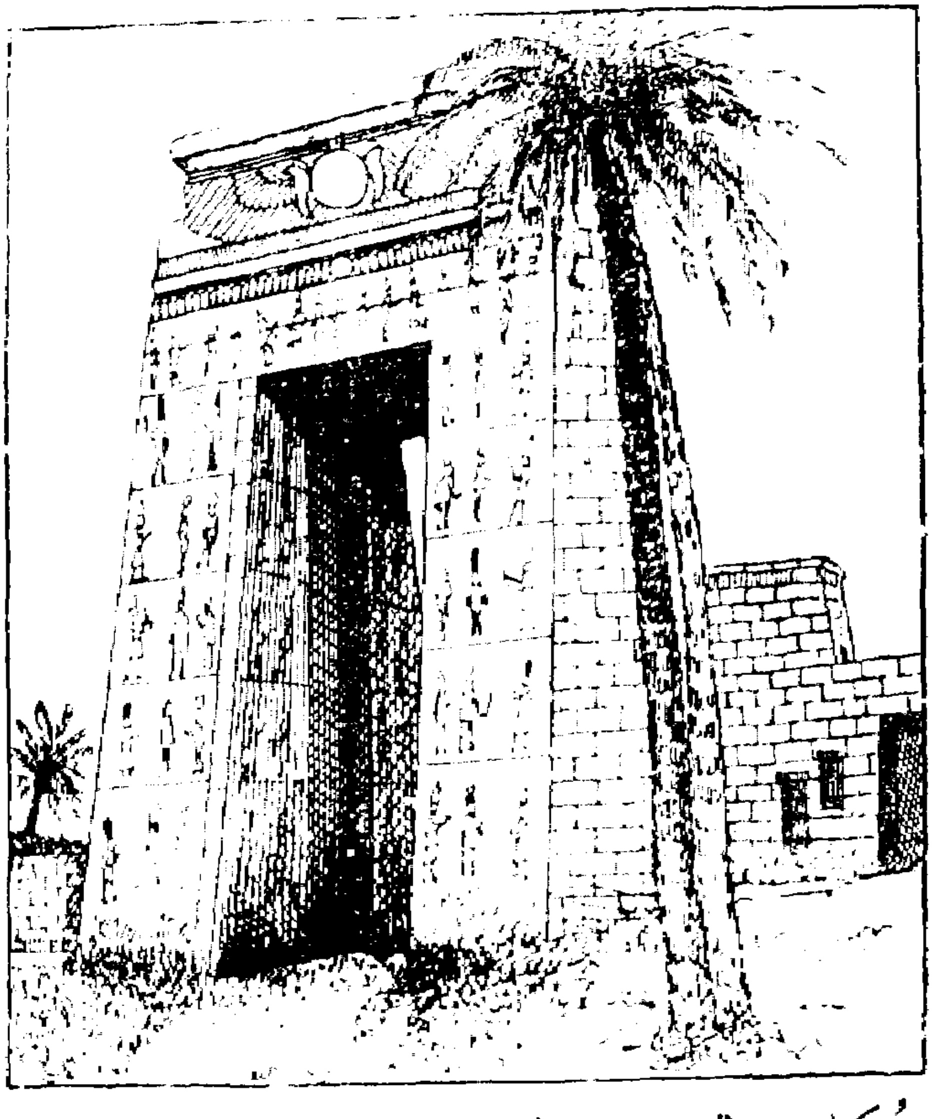
فهرس



— أ —

وَطَنُ الفَرَاعِنَة

مُثُلٌ مِنَ الشِّعْرِ القَوْمِيّ



خيرُ كتابٍ وطني للمحفوظات الشعرية لطلبة المدارس الثانوية

ثمن العدد : خمسون مليما

مكاتب القاهرة

التي تباع فيها دواوين أبي شادي

المكتبة السلفية بشارع الاستئناف بجوار المحافظة .

» العربية بشارع درب الجماميز .

» الادبية » » »

مكتبة المؤيد بشارع محمد علي .

» الاهرام » » »

المكتبة التجارية » » »

مكتبة حجّاج بشارع الحلوجي بالقرب من الازهر .

» الاعتماد بشارع حسن الاكبر

» البلاغة أمام مدرسة عباس الاول بالسيوفية

» المطبعة الازهرية بسراي رقم ٦ بشارع رقعة القمح .

المكتبة الازهرية بالسكة الجديدة .

مكتبة هندية بشارع الموسكي .

مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز .

مكتبة الوفد بعمارة سوق باب اللوق بميدان الأزهار .

» بنك مصر بشارع الدواوين .

» المعارف بالفجالة .

» الهلال »

» العرب »

» مركيس »

» هندية بشارع المناخ .

المكتبة الشعبية بشارع جزيرة بدران .

* * *

وتُطلب أعدادُها جملةً من الناشر : حسن صالح الجدّاوي بسكرتارية عميد كلية الحقوق بالجيزة ، أو من المطبعة السلفية بشارع الاستئناف بجوار المحافظة بباب الخلق بالقاهرة .

كيف تصير خطيباً
من غير معلم

من تأليف

حسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلوميه تجارة عليا (ليون)
سكرتير عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية بالجيزة
ومنشىء صحيفة (السويس الناهضة)

هذا أولُ كتابٍ من نوعِهِ ظهر في اللغةِ العربية على نسقٍ علميٍّ سهلِ المأخذ، حسن التبويب والتقسيم. ضمنهُ المؤلفُ زبدةَ الأصول لعلم الخطابة، قاصداً أن ينتفعَ بإرشادهِ وأمثلته طلبةَ العلم، وأن يرضى عنه خاصةُ المتأدبين على السواء.

وما علمُ الخطابة الا احدى الضروريات للثقافةِ المصرية، لا يستغني عنه أيُّ إنسانٍ يريد أن يخوضَ معتركَ الحياةِ بنجاح.

وافر ، ولهذا كان موضوعَ الدّرس والتطبيق في معاهد التعليم الاوربية ، كما أنّ طائفة من مدارسنا الأهلية الراقية أخذتْ تُعنى به العناية الواجبة استكمالاً لتهذيب رجال الغد .

والكتابُ مطبوعٌ طبعاً حسناً على ورق جيد وثمن العدد خمسون مليماً ، ويطلب بالجملة من :

المطبعة السلفية - بمصر

الزهراء

مجلةٌ علميةٌ أدبيةٌ اجتماعيةٌ

تعنى بوجه خاص بالابحاث العربية والاسلامية والشرقية

وهى لسان حال النهضة الأدبية فى العالم الاسلامى

لمنشئها

محب الدين الخطيب

﴿ الاشتراك السنوي ﴾

خمسون قرشا مصريًا في المملكة المصرية وستون قرشًا في الخارج

مطبوعات

السويس الناهضة

« لسنا نقول ان قراءة الصحف السياسية تخلو من الفائدة ، وانما نقول ان الادمان عليها مع تكرار معانيها تضييع للوقت والمال معا . فلنقرأ من التاريخ والشعر وسائر فروع الادب والعلم ما تنتفع وتزكو به عقولنا ويعظم به احساسنا للحياة ، فقارىء التاريخ يضيف الى عمره أعمار الاجيال الماضية ، وقارىء كتب السياحات يضيف الى وطنه أوطانا أخرى ، والمتعمق في العلوم يزداد بصيرة بهذا الكون فيستكنه حقائقه وبواطنه حين يقنع غيره بالظواهر ، والمتبحر في الادب يحيا حياة اخرى ويرى من الحياة وجوهاً ، ويبلغ منها عبراً ، لم يكن ليراها أو ليبلغها بدون الادب ».

عن مجلة « كل شيء »

اسم الكتاب	الثمن
الاقتصاد التجاري	١٥
كتيب في الدستور	٢

البازار السوداني بالخرطوم ، ومن المكتبة العصرية بأم درمان .

وفي سوريا من المكتبة العربية بدمشق ، ومن المكتبة السورية في حلب ، ومن مكتبة التوفيق في بيروت .

وفي العراق من المكتبة العربية ببغداد ، ومن المكتبة الجامعة بالبصرة ، ومن المكتبة العصرية بالموصل .

وفي الحجاز من الاستاذ ياسين حسن الجداوي بينبع ، ومن إدارة صحيفة (ام القرى)ومن المكتبة الحجازية بمكة المكرمة .

وفي طرابلس الغرب من ادارة جريدة « العدل » في محلة البلدية رقم ١٣٣ بمدينة طرابلس .

وفي تونس من ادارة جريدة « لسان الشعب » بنهج سيدي الصوردو عدد ١٢، ومن ادارة جريدة « النديم » ، ومن مكتبة العرب ، ومن المكتبة العصرية بنهج جامع الزيتونة عدد ٢٢ .

وفي الجزائر من ادارة جريدة « النجاح » بقسنطينة .

وفي مراكش من ادارة جريدة « اظهار الحق » بطنجة ، ومن ادارة جريدة « الاصلاح » بتطوان .

وفي زنجبار من « المكتبة العربية » .

وفي الهند الهولندية من ادارة جريدة « حضرموت »

بسورابايا ، ومن ادارة جريدة « الأحقاف » بسورابايا ، ومن ادارة جريدة « الوفاق » ببورنيو .

كذلك تُطلب من ادارات الصحف العربية في الهند وأمريكا.

والمخابرة للشراء بالجملة من خارج المملكة المصرية تُوَجَّه الى المطبعة السلفية بالقاهرة أو الى الناشر مباشرةً .

مفخرة رشيد

قصيدة وطنية شائقة للأستاذ الدكتور أبي شادي

مع شروح أدبية وتاريخية

بأقلام نخبة من مشاهير الكتاب

المطبعة السلفية بالقاهرة ٠ ٦٦ صفحة بقطع « الزهراء » ٠ خمسون مليما

يُروى عن اللورد كرزون أنه قال في موقف المجادلة السياسية الى دولة حسين رشدي باشا : « ياباشا ، أنتم تزعمون لأنفسكم حقَّ المحافظة على مواصلاتنا الامبراطورية ، وقد ذهبتُ فيما مضى الى مصر فوجدتُ أبناءكم يُساقون الى التجنيد بين العويل والنَّديب ! . »

فأجابه دولة رشدي باشا بقوله : « يالورد ، إنَّ هؤلاء الشبَّان الذين رأيتهم يُساقون الى العسكرية بالبكاء والعويل قد زحفَ بهم جدِّي على أبناء جلدتك ، فألقوهم في البحر وكانوا من المغرقين . . . ! ! » .

***

وتجدُ سيرةَ هذه الحماسةِ المصريَّةِ العظيمةِ مخلَّدةً نظماً ونثراً في كتاب (مفخرة رشيد) الجامع لقصيدةٍ وطنيَّةٍ من أبلغ أمثلة الشعر العصري السليم ، ولطائفة من المقالات الأدبية الشرحية والنقديَّة بأقلام نخبةٍ من مشاهير الادباء ، فاقرأه وأطلِعْ أولادَكَ عليه ، فلا خير في ناشئةٍ تجهل مفاخرَ ماضيها .

نظرات نقدية
في
شعر أبي شادي
مع تعقيب بقلم الناشر

حسن صالح الجداوي

ليسانسيه في القانون (باريز) ودبلوم تجارة عليا (ليون)
منشىء صحيفة « السويس الناهضة »

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٢٣١ صفحة بقطع الجاير : ثمنه عشرة قروش مصرية

قالت صحيفة « كوكب الشرق » الغراء :

« مِنْ علامات النّهضة الأدبية في عصرٍ ما ـ وفي أمة ـ انتعاشُ النقد الأدبي على قواعد فنية صحيحة ، ولهذا كان (الكوكبُ) في مقدّمة الصحف العربية التي تُعْنَى باحيائه وتشجيعه ، بعد أن قُبر عهداً طويلاً حتى اعتاد الكثيرون من الادباء خشيةَ النقد ، واعتبارَ الأديب الناقد في منزلة الخصم اللدود ... ورحم الله ذلك العهدَ الذي نُشر فيه كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري)

وأمثاله من كتب نقدية ثمينة اعتزّ بها الأدبُ ، وعاونت على رفع مستوى الاجادة الفنّية بين أهل البيان .

وبينما يتهرّبُ معظمُ الادباء من النقد ويخشونهُ يتحفنا الاستاذُ الأديبُ المفضال حسن صالح الجداوي سكرتير عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية ومنشئ جريدة (السويس الناهضة) بكتاب قيم جامع في نقد شعر أبي شادي ، وهو مؤلّفٌ ثمينٌ واقع في ٢٣١ صفحة بقطع الجاير ، ومطبوعٌ طبعاً نفيساً على ورق أسيل ، حسن التّبويب ، مشتملٌ على أربعة عشر فصلاً من خير ما كتب الكاتبون في الأدب المصري والنقد . وقد بنى موضوعه أصلاً على فصول نقدية لشعر أبي شادي كانت نشرتها رصيفتنا جريدةُ (المؤدب) الغرّاء ، ثم عقبها بردوده المتضمنة لبعض ملاحظات الشاعر نفسه ، فكان ردُّه في اسلوب منطقي ، غاية في الجزالة والانسجام ، كثير الاستقصاء والتحليل ، تشرقُ منه روحٌ عاليةٌ ونفسٌ توّاقةٌ الى النهوض والتقدم والاصلاح .

وقد قرأنا صفحات كثيرة منه شاقتنا ببلاغتها ونزعتها الحرّة ، وبما فيها من مباحث طريفة دقيقة ، وأعجبنا بكلمة الاستاذ الجداوي الختامية : « لن يخشى النقدَ السليمَ ولن يغضب عليه الا العاجزُ

العثورُ الذي لا يحبُّ الادبَ للأدب ، ولا يعرف فضلَ النُّقَّادفي نشر الثقافة وتهذيبها » . كذلك شاقنا بوجه خاص فصل ممتع عن « اللغة والشعر والعصر » للناقد العلاّمة الاستاذ عبد القادرعاشور.

فنثني ثناءً طيباً على الاستاذ الجداوي لغيرته الأدبية وقدرته البيانية ، ونحثُّ رجالَ الأدب — على تباين مذاهبهم — على دراسة هذا الكتاب النافع ، الجدير بأن تزدان به مكتبةُ كل أديبٍ في العالم العربي » .

***

ونشرت صحيفة (الايجبشيان ميل — THE EGYPTIAN MAIL) بقلم محررها الادبي بعنوان « الشعر العربي » :

An interesting critical study of the poetry of Abushâdy has just been published by Hassan Saleh Djeddaoui, secretary to the Dean of the Faculty of Laws. This book "Critical Views on Abushady's Poetry", adds another success to the work of this brilliant young writer. He has brought to his difficult task a keen appreciation of the beautiful, and a frank and courageous spirit of criticism, which is nothing daunted by traditions but probes and analyses in the very sanctuary. His comprehensive knowledge of the Arabic language makes this study a valuable guide to a just appreciation of the poet.

ﻫ ﻫ ﻫ

وقالت مجلة (فتاة الشرق) الغراء :

« انتهت الينا نسخة من كتاب (نظرات نقدية في شعر أبي شادي) لناشره الاستاذ القانوني والكاتب الأديب حسن افندى صالح الجداوي منشيء صحيفة (العرب الناهضة) . وقد صدّره بمقدمةٍ بليغةٍ بيّن فيها قصدهُ من نشر هذا الكتاب وهو التنافس في نقدٍ نُشر في صحيفة (المؤدب) الغراء لشعر صديقه الدكتور ابي شادي بك ، ثم كلمة في حياة الشاعر بقلمه ، فرسمه ، فرسائل في الشعر لكتبةٍ معروفين ، فنقد (أنين ورنين) ، فردّ الناشر عليه وهو بيت القصيد ، ثم فصل ختامي بقلم الاستاذ ابراهيم افندى المصري موضوعه « شعراؤنا وجنون الطرب » .

والكتابُ بليغُ العبارة ، حسنُ السبك ، لم يخرج فيه النّقدُ عن قواعد الأدب والظَّرف ، مما يجدر بخاصة كتابنا اتّباع منهجه فضلاً عن عامتهم ، إذ قلَّ من يعرفُ في الشرق قوانين الانتقاد والاقتصار على بيان الخطأ دون تجاوزه الى ايلام الاشخاص . وقد لاحظنا لكلٍّ من الناقد والناشر مواطنَ خطأ تكمن في رياض

الاصابة وبين أزاهير البلاغة مما يكبو به القلمُ أحياناً ، ولـكنّها لاتنقصُ من قدر الأديبين المجيدين . فنثني على همة حسن افندي صالح الجدّاوي واخلاصه في خدمة الأدب ، وندعو الله بأن يكثر من أمثال الدكتور أبي شادي فخر الشبيبة المصرية »

* * *

وقالت صحيفة (النديم) الغراء — من شهيرات الصحف التُّونسية :

(نظرات نقدية في شعر أبي شادي) — اسمٌ لمؤلف جديد أهدى لنا نسخةً منه ناشرُهُ الكاتبُ الاديبُ السيد حسن صالح الجدّاوي منشيءُ صحيفة (السويس الناهضة) . وهو يقع في ١٣٢ صفحة أوّليانها حاويةٌ لما نشرته صحيفةُ (المؤدب) في نقد ديوان الدكتور أبي شادي — (أنين ورنين) — لأحد الادباء . ويليه ردٌّ للناشر على النقد المذكور ، وشعرُ الدكتور أبي شادي جديرٌ بمثل هذا الردّ . ويشمل الـكتابُ عدا هذا المحور مقالات مفيدة بأقلام طائفة من الادباء المفكرين جـديرة بالعناية من كلّ منتسبٍ للادب .

فنشكرُ للناشر هديته ، ونحثُّ الأدباء على اقتنائه ، ولا سيما من يهمهم تطوُّر الأدب العربي ونزعات العاملين على اصلاحه .

***

وقالت جريدة (الاهرام) الغراء :

بين يدينا كتابُ (نظرات نقدية في شعر أبي شادي) لناشره الاستاذ القانوني الأديب حسن صالح الجداوي افندي ، وقد ناقش به في رفقٍ وهوادةٍ بأسلوبٍ راقٍ متين نقداً ظهر فيجريدة (المؤدب) لشعر صديقه الحميم الشاعر الكبير الدكتور احمد زكي أبي شادي .

والاستاذُ الجداوي يدافعُ في كتابه عن نظرية التجديد في الأدب عامةً والشعر خاصةً ، والتحرّر من قيود الماضي التي وضعها مَنْ سبقونا ، وهو يُنكر عليهم حقَّ احتكار اللغة والشعر وأوزانه . وانّا وانْ لم نقر الاستاذ الجداوي على اكثر نظريته نقدّر له جمالَ أسلوب الكتاب ومتانة عبارته ، وأخذَه بطريقةِ البحثِ العلمية

***

وقالت مجلة « المقتطف » الغراء :

« لمَّا ظهر ديوانُ «أنين ورنين» لناظمه الدكتور أحمد زكي أبي شادي تلقَّته الصحفُ المصرية عامةً بالثناء والتقريظ ، وكتب عنه الناقد الأدبي في صحيفة (المؤدب) فصلاً ممتعاً نَقَدَه فيه مظهراً غثَّه من غير أن يضنَّ على سمينه بالاطراء الجدير به . فرد عليه الأديبُ حسن صالح الجدّاوي منشيء صحيفة (السويس الناهضة) وناشرُ الديوان بمقالةٍ مسهبةٍ بيّن فيها شاعرية أبي شادي وناقش الناقد آراءه « في رفقٍ وهوادةٍ تلمُّساً للحقيقة ، فالحقيقةُ بنتُ البحث » .

وقد عُنِيَ الاستاذُ الجدّاوي الآن بنشر كتابٍ بالعنوان المتقدّم جعل أساسه المقالتين المذكورتين آنفاً ، وأضافَ اليهما مقالات اخرى ترتبط بهما ، كمقالة « الأدب القومي » للأديب عبد العزيز عبد الحق ، وكمقالة « التقدير الفني » للأديب علي أدهم ، وفصلاً عنوانُه « الشعراء وجنون الطرب » للأديب ابراهيم المصري ، وآخر عنوانه « اللغة والشعر والعصر » . فجاء الكتاب تحفةً أدبيةً نفيسة . »

***

وقالت صحيفة (**المؤدب**) الغراء :

« يعرفُ قُرّاء « **المؤدب** » مبلغ اعجابنا بأدب الرصيف المفضال الاستاذ حسن أفندي صالح الجداوي منشيء (**السويس الناهضة**) وسكرتير عميد كلية الحقوق ، وناشر معظم دواوين الاستاذ الدكتور أبي شادي وغيرها من الكتب الادبية العصرية الممتعة ، وانّ معرفتنا الشخصيّة بالاستاذ الجدّاوي محـدودةٌ ، فنحن لا نحابيه اذا كرّرنا الثناء على تقديره للنقد الأدبي النّزيه بجمعه مقالات المحرّر الأدبي لصحيفتنا (**المؤدب**) التي نقدَ بهـا ديوان (**أنين ورنين**) وقدأتبعها الاستاذ الجداوي بتعقيب من قلمه القدير حلل به المذاهب القديمة والحديثةفي النظم والشعر وطريقة الاستاذ الدكتور أبي شادي المستقلة ، فجاء هـذا المؤلَّفُ النَّفيسُ مثالاً كريماً مفيداً للنقد الأدبي ، وتحليلاً بديعـاً لفلسفة الشعر ، ومقياسَ مقارنة بين القديم والجديد في الألفاظ والأساليب والمعاني والأخيـلة والأذواق .

وقد أُخرجت الكتابَ في ثوبٍ جميلٍ (**المطبعةُ السلفية**) الشهيرة ، مصدّراً — كعادة الناشر الفاضل في سابق مطبوعاته —

بطائفة من المقالات الادبية المناسبة لبعض كبار الادباء ، فصار جديراً بحفاوة وعناية أنصار النقد الادبي ومحبّي الشعر العصري ورافعي لواء العربية ، واليهم أهدى الاستاذ الجداوي الكتاب بغضّ النظر عن موافقتهم أو مخالفتهم لبعض آرائه أو آراء الاستاذ الدكتور أبي شادي .

فنحن نهنىء رصيفنا الاديبَ بجهده القيّم وتقديمه المثل الصالح لجمهور الادباء في احترامه للنقد الأدبي ، ونلفتُ أنظار الادباء جميعاً الى هذا الكتاب العصري الفريد في بابه ، والخليق بكلّ عناية » .

***

وقالت « المجلة الشهرية » الغراء :

« تولّى هذه النظراتِ حضرة حسن صالح الجداوي افندي ليسانسيه في القانون وأردفها بتعقيبٍ من قلمه . وهي تشتمل على خلاصةٍ من حياة الشاعر بقلمه ، ورسالةٍ في الأدب القومي لحضرة الاستاذ عبد العزيز عبد الحق ، واخرى في الشعر لحضرة الاستاذ أحمد خيري سعيد أفندي ورسائل غيرها ، أهمّها وأطولها رسالة بعنوان « نقد أنين ورنين » بقلم الناقد الأدبي لصحيفة (المؤدب) وردّ الناشر عليها ، وهو ردّ أجادَ فيه وأفاد »

نشرت صحيفة (لابورص اجبسيان) الفرنسية بقلم الاستاذ جلاد :

Après avoir parlé de Chawky au faîte de sa gloire, parlons d'un jeune écrivain à l'aube de la célébrité. Hassan Saleh El Djeddaoui, secrétaire du doyen de la Faculté de droit, est un jeune Egyptien, de très grande culture européenne et orientale. Après avoir publié plusieurs livres remarquables, il vient d'éditer un livre de critiques littéraires. On y retrouve la magnifique enthousiasme de la jeunesse, tous ses généreux élans, toute sa foi dans le Beau et son culte pour l'art. Mais on trouve surtout un esprit très fin de critique. De la grande école de Sainte-Beuve et de Faguet, Hassan El Djeddaoui apporte à sa tâche difficile, une connaissance approfondie de la langue arabe, un goût très sûr, un sens rare du Beau, mis au service de la Méthode critique. Il dépouille le poème de ses apparences, en pénètre le fond, l'idée, met en lumière la parure du style et ne laisse aucun détail dans l'ombre.

Ce qui plaît également dans Hassan El Djeddaoui c'est sa franchise et le courage de ses opinions. Tandis que d'autres critiques s'inclinent par snobisme devant les gloires consacrées et encensent les réputations toutes f[illegible]s, Djeddaoui s'attaque audacieusement aux plus grands maitres. Il ne se laisse pas éblouir par leur prestige et juge leur oeuvre objectivement, sans prendre en considération la personne de l'auteur.

Cette légitime et louable hardiesse lui attire beaucoup d'ennemis et de puissants, dans le monde des lettres. Qu'importe. Pour Hassan El Djeddaoui la Vérité seule est reine et il continuera à servir sans compromissions ni lâcheté, la déesse aux mille Visages, la Littérature aux mille beautés.

٭٭٭

وكتب الى الشاعر فضيلةُ الاستاذ العلاّمة الشيخ أبو السعود القاضي الشرعي بمحافظة السويس :

« تسلّمتُ ذلك الكتابَ الكريم (نظرات نقدية) الذي ألّفه أخوك الجدّاوي ، وراقني جداً أن تكون أنت مُرسلَ الكتاب وهو نقدُ شعرك أو دفاعٌ عن النقد الموجّه اليه ، وكذلك فليكنْ الرجلُ لا يجبن أمامَ نقدٍ ، فالعصمة لله ولمن اجتبى من كرام رُسله والشّجاعةُ أقوى الأسباب في نبوغ الرجال . ولقد عرفنا كثيراً من ذوى العقول الراجحة والذكاء النادر غمرهم الجبنُ ، وقضى عليهم الانزواء والخمول . . . » .

٭٭٭

وكتب الكاتبُ الكبيرُ والخطيبُ المُفَوَّهُ الاستاذُ راغب بك اسكندر عضو مجلس النواب والوفد المصري :

« . . . . (نظراتٌ نقديةٌ) في شعركم الخالد ستكون موضع تسليتي في هذه الأيام بما فيها من معانٍ رائقةٍ لشعركم الخلاّب ، ونظمكم الجذّاب ، وشعوركم الفيّاض ، وانني أرجو أن تنقلوا الى الاستاذ الجدّاوي وافر ثنائي على همّتهِ العالية ، وبلاغته الفائقة

أدامكم الله ذخراً للوطن ، ومرشداً لأهليه الأوفياء » .

* * *

وكتب الاستاذ الأديبُ المعروفُ حسين افندي فتُّوح من رجال وزارة المعارف المصرية :

« . . . إني أترنّم دائماً بأدبك وفضلك ، وأجدُ في نفسي مبعثاً قوياً لأتغنّى بشعرك الجزل ، ويسرّني أن أجدَ نفحتك الأخيرة (نظرات نقدية) مجدّدة لهذا الوازع الوجداني الذي يهزّني الى بيانك العذب وشعرك المطرب ، إذْ كانت بمثابة المُبين لخبايا كنوزه العديدة الذاخرة ، وآياته القوية الباهرة ، فشكراً لفضائلك وأدبك ، وأرجو أن أجدَ لكَ في كلّ حينٍ من آياتِ البيانِ وسحرهِ ما يخلّد أياديك . »

* * *

وقالت مجلة (النهضة النسائية) الغراء :

« ...لحضرة الدكتور أحمد زكي أبي شادي ديوان شعر جميل أطلق عليه (أنين ورنين) قامت حوله ضجة الناقد الأدبي في صحيفة (المؤدب) فتقدمّ ناشر هذا الديوان حضرة الأديب حسن افندي صالح الجدّاوي منشيء صحيفة (السويس الناهضة) بمقال مسهب بين فيه شاعرية الناظم ونقض جميع آراء الكاتب بأسلوب دقيق وفي رفق .... »

مقامات أبي الشمقمق

الجزء الاول

هي المقامات العصرية التي دبجها يراع الأديب الشاعر الناثر المجيد الاستاذ عبد الله بكري ونشرتها تباعاً جريدة (المؤدب) بامضاء «أبي الشمقمق» فكانت فاكهة القارئين والقارئات، لجمعها بين الاسلوب المصري الرشيق، والفكاهة الحلوة، والحكمة السائغة، والنقد المستملح، في قالب خاص عليه مسحة المألوف من العامية المهذبة والفصيحة السهلة، تحبيباً لمطالعتها الى الجمهور الذي رحب بها أيما ترحيب، فلم يبق من أعدادها - على وفرة ماطبع - الا قدر محدود. وقد تناقلتها بعض الصحف العربية خارج مصر لدلالتها على روح المجتمع المصري الحاضر، ولما تضمنته من طريف الأدب اللذيذ والنقد الاصلاحي البريء.

ويحتوي الجزء الأول على ١٣ مقالة، ويباع بمكتبة (المؤدب) بشارع الأزهر ببور سعيد، وبالمكاتب الشهيرة، وثمن العدد ٣ قروش صاغ.

إنهاض تربية النحل في مصر

خطبة علمية اقتصادية للاستاذ الدكتور ابي شادي
مع قصيدة شوقي بك في مملكة النحل

عُني بنشرها

محمد عبد الغفور
دبلوميه في الزراعة ومن موظفي قسم الحشرات بوزارة الزراعة المصرية

جمعت هذه الخطبة القيّمة طائفة من المعلومات العامة الثمينة عن انهاض تربية النحل في مصر ، كالنظار في تربية النّحل العصرية ومواضع الضعف ووسائل النهوض ، وتعليم تربية النحل ، والبحث العلمي ، وقلة الانتاج ، وأمل المستقبل ، الخ . واغتها سلسة عذبة لا يسأمُ مطالعتها أيُ قارىءٍ شغوفٍ بالاطلاع على حالة هـذا العلم القديم الذي عنيتْ به مصرُ منذ عهد الفراعنة ثم أصابه الاضمحلال

التدريجي لمَّا تهدَّمت المملكةُ المصريةُ القديمةُ وفشا الجهل ، حتى أصبح هذا العلم لدينا في حكم العدم .

ومع أنَّ هذا الكتابَ مقصودٌ بنشرِهِ الانارة العامة للجمهور الا أنّه لا يخلو من فوائد فنّية كثيرة للزارعين ومحبّي تربية النحل على أحدث الطُّرُق العلمية المفيدة . فهو كتابٌ أدبيٌّ علميٌّ عامٌّ خليقٌ بحفاوةِ كلّ من يُعنَى بمستقبل مصر الاقتصادي من أبنائها البَرَرَةِ الغيورين .

وقد طبع طبعاً أنيقاً بالمطبعة السلفيّة بمصر ، وزُيِّنَ بطائفةٍ من الصُّوَرِ الجميلة ، وثمنُ العدد ثلاثون مليماً ، ويُطلب من المكاتب الشهيرة .

